شرح ثلاثة الأصول

لشيـــخ الإســـلام المجـــــدد

الشيخ محمد بن عبد الوهاب

- رحمه الله تعالى-

لفضيلة الشيخ

صالح بن سعد السحيمي

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

[أشرطة مفرغة]

أعد هذه المادة

سالم بن محمد الجزائري

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد؛ أيها الإخوة بعد أن انتهينا من كتاب سماحة شيخنا الشيخ عبد العزيز -رحمه الله تَعَالىٰ- حول أحكام الزيارة، فإننا نشرع في شرح في كتاب آخر من كتب أئمة الدعوة؛ بل هو كتاب صاحب الدعوة المباركة الميمونة المبنيّة على كتاب الله -تَعَالىٰ- وسنة رسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وفق منهج سلفنا الصالح بعيدا عن الإفراط والتفريط، وبعيدا عن الغلو والتقصير، وهو كتاب الأصول الثلاثة مع وقواعده الأربعة لشيخ الإسلام العالم العلامة الشيخ محمد بن عبد الوهاب التميمي -رحمه الله رحمة واسعة-، والذي كتُبُه كلها عبارة عن قال الله وقال رسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أو ما جاء في معنى ذلك من كلام سلفنا الصالح رضوان الله عليهم، ولنبدأ مع هٰذا الكتاب على بركة الله.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى:

[المتن]

بسم الله الرحمٰن الرحيم

اعلمْ -رحمكَ اللهُ- أَنَّهُ يجبُ علينَا تَعَلُّمُ أربعِ مسائلَ؛

الأُولى: العِلْمُ؛ وهوَ معرفةُ اللهِ، ومعرفةُ نبيِّهِ، ومعرفةُ دينِ الإسلامِ بالأدلةِ.

الثانيةُ: العملُ بهِ.

الثالثةُ: الدعوةُ إليهِ.

الرابعةُ: الصبرُ علَى الأَذى فيهِ.

والدليلُ قولُه تعالَى: بسم الله الرحمٰن الرحيم ﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣)﴾[العصر]، قالَ الشافعيُّ رحمَهُ اللهُ تعالَى: لوْ مَا أَنْزَلَ اللهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إلاَّ هٰذه السُّورَةَ لَكَفَتْهُمْ.

وقال البخاريُّ رحمَهُ اللهُ تعالى: بابٌ العلمُ قبلَ القولِ والعملِ، والدليلُ قولُه تعالَى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ

﴿لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾[محمد:١٩]. فبدأَ بالعلمِ قبلَ القولِ والعملِ.

[الشرح]

هٰذه المسائل التي بدأ الشيخ -رحمه الله- بالتنبيه إليها هي مسائل عظيمة، مسائل أساسية، لا غنى للمسلم عن معرفتها إذا أراد الطريق السوي الذي يصل به إلى رضوان الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-، وهي أربع مسائل مهمة جدا؛ بل في غاية الأهمية؛ بل هي أساس كل شيء:

أولى هٰذه المسائل: العلم، العلم المبني على الإيمان، العلم المستمد من كتاب الله -تَعَالَىٰ- وسنة رسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

وأساس العلم معرفة ثلاثة أصول وتطبيق ما يقتضيه ذلك قولا وعملا واعتقادا:

وهو أن يعرف العبد ربّه فيؤمن به في ربوبيته وفي ألوهيته وفي أسمائه وصفاته، يفرده- تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- في جميع أموره، ويفرده بأن يعتقد أنه رب واحد لا شريك له في ربوبيته، فهو الخالق الرازق المالك المتصرف القادر على كل شيء كما قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[1] وكما قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٥٤)﴾[الأعراف:٥٤]، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لاَ تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلاَ لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (٣٧)﴾[فصلت:٣٧]، والإيمان به إلٰها ومعبودا، بما أنه هو الرب الخالق الرازق المالك المتصرف في كل شيء، والمدبر لكل شيء -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-، فإن هٰذا يستلزم ويقتضي أن نفرده -جل وعلا- بالعبادة، وألاّ نعبد أحدا سواه، لا ملكا مقربا، ولا نبيا مرسلا، فإن توحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الألوهية، فإذا عرفت أنه ربك وخالقك، ومدبر أمرك، ورازقك، ومالكك، والمتصرف في شؤونك، والذي رباك، وأوجدك من العدم، وتفضل عليك بأفضاله وأنعامه، إذا آمنت بذلك فإن ذلك يحتم عليك أن تفرده -تعالى- بالعبادة، وأن تصرف جميع أنواع العبادة له وحده دون سواه، وهو توحيد العبادة، وقد ربط الله بينهما في غير ما آية كما قال الله جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ بعد أن أمرنا بعبادته بيّن العلة التي هي: ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاء بِنَاء وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ

---

[1] سورة: الفاتحة الآية (٢)، يونس الآية (١٠)، الزمر الآية (٧٥)، غافر الآية (٦٥).

الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ﴾ كل هٰذا يتعلق بالربوبية، ثم قال: ﴿فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٢)﴾[البقرة:٢١-٢٢] أي: إذا آمنتم أنه الرب لا خالق سواه، ولا مالك سواه، ولا رازق سواه، ولا مدبر سواه، هٰذا يلزمكم ويحتم عليكم أن تؤمنوا بأنه الواحد الأحد في عبادته، وأنه لا يجوز أن يشرك معه أحد في عبادته، لا حجر ولا شجر ولا مدر ولا ملك ولا نبي ولا ولي.. كل هٰؤلاء لا يستحقّون معه شيئا، ومن عبد معه إلٰها غيره ولو كان نبيا أو وليا فهو مشرك كافر؛ قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لاَ بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (١١٧)﴾[المؤمنون:١١٧]، ويقول تَعَالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣)﴾[الأنعام:١٦٢-١٦٣]، ويقول تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (٢)﴾[الكوثر:٢].

فإذن إذا علمنا أنه رب كل شيء ومليكه فإنه وحده المستحق للعبادة، ولذلك فإن توحيد الله في ربوبيته يستلزم -يا عبد الله- أن تفرده في ألوهيته وعبوديته، كما قال تعالى في الآية بعد أن ذكر عددا من آلاء الله: ﴿فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٢)﴾ والآيات في هٰذا كثيرة؛ ولكننا نريد أن نشرح هٰذا الكتاب وباختصار لتحصل الفائدة إن شاء الله تَعَالىٰ.

ثم أيضا الثالث أن نفرده -تعالى- بالأسماء الحسنى والصفات العلى، بأن نصف الله بما وصف به نفسه في كتابه أو وصفه رسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في سنته، من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل ولا تشبيه ولا تأويل، على حدّ قوله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ (١١)﴾[الشورى:١١]، لا نتجاوز في ذلك القرآنَ والحديث، فنثبت جميع ما أثبت لنفسه من الأسماء الحسنى والصفات العلى، لا نكيف، ولا نشبه، ولا نؤول، ولا نعطل، ولا نحرف، فهٰذا هو الذي يسمى توحيد الأسماء والصفات.

وهي متلازمة -كما قلت- توحيد الأسماء والصفات جزء من توحيد المعرفة والإثبات، فهي جزء من توحيد الربوبية، ما دام هو الرب، وما دام هو المتصف بالصفات العلى والأسماء الحسنى فإنه وحده المستحق للعبادة دون سواه.

ويجب أن نسلك في الأسماء والصفات مسلك الأئمة، منهم الإمام مالك -رحمه الله- عندما سئل عن الاستواء فقال: الاستواء معلوم والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة. ومنها

قول الإمام أحمد -رحمه الله- لا نصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لا يتجاوز القرآن والحديث.

ولذلك عندما سمع الإمام أبو حنيفة -رحمه الله- قوما ينكرون علو الله -عز وجل- أو يشكون في ذلك فقال: من قال: لا أدري إن الله ليس في السماء فقد كفر. ومن قال: لا أدري ربي في السماء أو في الأرض فقد كفر. لأنه بذلك يلزم منه أمر خطير، وهو أن يكون الله في كل مكان، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا. نعم هو مستوٍ على عرشه وعلمه في كل مكان بحيث لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، ﴿**رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللّهِ مِن شَيْءٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء (٣٨)**﴾[إبراهيم:٣٨].

فإذن يجب على المؤمنين أن يفردوه في ربوبيته وفي ألوهيته وفي أسمائه وصفاته، فيثتون له ما أثبت لنفسه وما أثبته رسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

إذن هٰذه خلاصة الأمر الأول، وهو العلم، ثم العلم أيضا معرفة الله ومعرفة نبيه، ليس المقصود مجرد المعرفة التي تتبادر إلى الأذهان، إنما المقصود بالمعرفة فيما يتعلق بالله المتضمنة للقول والعمل والاعتقاد، ليست معرفة الجهمية فإنهم يعرّفون الإيمان بأنه المعرفة؛ لكنهم يعنون بها معرفة إبليس، إبليس يعرف أنه ربه؛ ولكنه كفر وجحد؛ ولكننا نقصد المعرفة المتضمنة للتصديق والقول والاعتقاد.

وقد عرفنا أنه لابد في ذلك من الإيمان بالله ربا، والإيمان به إلٰها ومعبودا، والإيمان بأسمائه وصفاته وأفعاله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ-.

ومعرفة نبيه، كيف تعرف نبيك؟ أي تؤمن به وتصدق أنه مرسل من عند الله، وتطيعه فيما أمر به وجاء به من عند الله، وتجتنب ما حذر منه ونهى عنه، وأن تعبد الله وفق شرعه بلا زيادة ولا نقصان. هٰذا هو المقصود بمعرفة النبي، العلم بالنبي يعني: تصديقه فيما أخبر به، واتباعه فيما أمر به واجتناب ما نهى عنه وزجر، وأن لا يعبد الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ- إلا بما شرع.

وليس المقصود مجرد الانتساب إليه، حتى يقال: إن فلانا مسلما ومن أتباع محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ بل لابد من العلم والعمل في ذلك.

ثم قال: (ومعرفة دين الإسلام بالأدلة) معرفة أحكام الشرع بما تضمنه من عبادات ومعاملات وأخلاق وآداب وحدود.. وسائر أحكام الدين؛ لأنه الدين الذي لا يقبل دينا سواه ﴿**وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٨٥)**﴾[آل عمران:٨٥]، ثم إنه لابد من معرفة أقل قدر تستطيع أن تعبد به ربك على الوجه الصحيح؛ يعني معرفة أقل قدر تصح به العبادة،

هٰذا فرض عين، وما زاد على ذلك فهو فرض كفاية؛ لكن معرفة القدر الذي به يستطيع العبد أن يؤدي عباداته على الوجه الصحيح، هٰذا أمر لا يُعذر أحد بتركه، يعرف التوحيد من الشرك، الفرض والواجب من السنة، والحلال من الحرام، والسنة من البدعة، والحق من بالباطل، هٰذا القدر تعلمه فرض عين. فلابد -يا عبد الله- أن نعرف ذلك كله جملة وتفصيلا حتى نؤديه على الوجه الذي يرضي الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ-.

وهٰذا هو معرفة دين الإسلام بالأدلة، بالأدلة الواضحة القاطعة التي تدل على أنه من عند الله، والحق أبلج والباطل لجلج، فكل من تأمل هٰذا الدين وتأمل عقيدته وأحكامه وآدابه وأخلاقه وحدوده عرف أنه من عند الله وأنه منزّل من عند الله على رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فالحق عليه علامات واضحة تدل دلالة واضحة على أنه الحق، والباطل له علامات تدلّ على أنه باطل، فلابد يا عبد الله والحال هٰذه من أن نجتهد في معرفة الحق ونتعلم العلم عن طريق العلماء الربانيين الذين يقضون بالحق وبه يعدلون، الذين ينفون عن كتاب الله -تَعَالىٰ- تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، فانتبه -يا عبد الله- لذلك، واعرف ما يجب عليك نحو ربك، ونحو نبيك -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، ونحو دينك.

وبعد أن نتفقه في هٰذه الأمور وأن نتعلم -إنما العلم بالتعلم- تأتي المسألة الثانية وهي العمل، والعلم بلا عمل كجسم بلا روح، أو كشجر بلا ثمر، يصبح عديم الجدوى؛ بل هو حجة على صاحبه -والعياذ بالله-، فلابد من اتباع القول بالعمل، فقد توعد الله الذين يعلمون ولا يعملون بقوله جل وعلا: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ (٣)**﴾[الصف:٢-٣]، فالعمل بشرطيه: وهو إخلاص العمل لله وحده والاقتداء بالنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لابد منه حتى يكون العمل صحيحا، ولابد أن يبنى هٰذا العمل على العلم.

ولذلك عقد الإمام البخاري كما نقل المصنف هنا -رحمه الله- بابا قال فيه: باب العلم قبل القول والعمل. ثم صدّر هٰذا الباب بقول الله جل وعلا: ﴿**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَـٰهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ**﴾[محمد:١٩]، لذلك -يا عبد الله- لابد من أن يؤسس عملك على العلم؛ لأن تأسيس العمل على غير العلم يوقع في متاهات لا تحمد عقباها؛ لكن المؤمن الحق هو الذي يطبِّق ما تعلم قبل أن يبدأ بالدعوة إليه ودعوة الآخرين إليه.

ثم بعد أن يعمل بعلمه ويجتهد في العمل وفق الضوابط الشرعية ويتعلم ويتفقه في دين الله، عندها يدعو إليه، يدعو إلى ذلك العلم الذي تعلَّمه وعمل به، مما يدلّ على أن الدعوة وظيفة كل مؤمن على قدر علمه، لا يجوز له أن يتخبّط أو أن يعتلي منابر العلم قبل أن يكون أهلاً لذلك، قبل أن يتأهّل بسلاح العلم النّافع الذي يقربه إلى الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ-، فلابد -يا عبد الله- من أن تعلم ما تدعو إليه، وتراعي فيه أمورا من التدرج في الدعوة والحكمة والمجادلة بالتي هي أحسن، والتسلّح قبل ذلك كله بسلاح العلم المحكم من الكتاب والسنة وفق هدي سلف الأمة، وليست الدعوة أن يتعلّم أحد آيةً أو حديثا ثم يأتي ويلقيه على الناس وهو لا يفقه معناه، فإن هٰذا من أعظم المصائب؛ بل قد تقع في الباطل أو تفسّر بهواك، قد تفسر القرآن برأيك وتقول برأيك وتقفو ما ليس لك به علم، إذا لم تُبْنَ الدعوة على العلم بالأحكام الشرعية، العلم بالعقيدة المؤصلة والمؤسسة بالكتاب والسنة وفق هدي سلف الأمة.

فمن فقد هٰذا الأساس فلا يجوز أن يتصدى للدعوة، وليست الدعوة بأن نتنازل للناس عن بعض مبادئ الدين من أجل أن يرضوا عنا ﴿**وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ**﴾[البقرة:١٢٠]، وأهم شيء للدّاعية أن يعرف الأمر الذي يدعو إليه جملة وتفصيلا حتى لا يقع في الفتوى بغير علم، والله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- يقول: ﴿**وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولـئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً (٣٦)**﴾[الإسراء:٣٦]، وجعل الله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- القول على الله بغير علم قرين الشرك؛ لأنه هو أيضا مصدر الشرك، فقال تَعَالىٰ: ﴿**قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ (٣٣)**﴾[الأعراف:٣٣].

فانتبه -يا عبد الله- هناك جماعات تستدل بقول النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**بلغوا عني ولو آية**»[1] فتنطلق تهيم على وجهها في الأرض تتخبط من حديث ضعيف إلى موضوع، إلى قصة منامية، إلى رؤى خيالية، إلى ترّهات خرافية، إلى أقاصيص يدّعيها أولئك الأدعياء ويبنون عليها أحكاما، وهي قد تكون رؤية شيطان رآه، فمثل هٰذا العمل لا يرضي الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ-، فأن يأتي ويتصدى ويتكلم ويقول في القرآن وفي السنة برأيه ومحض اجتهاده دون الرجوع إلى علماء الأمة الذين قال الله فيهم: ﴿**وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ**﴾[النساء:٨٣].

([1]) **البخاري**: كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، حديث رقم (٣٤٥٩).

فافهم هـٰذا -يا عبد الله-، فإن فهمه نفيس، وإياك أن تتصدر، مع أن الدعوة فرض كفاية، وإذا تركوها جميعا أثموا جميعا ولكن لا يتصدر لها إلا من أتقن آدابها وأمورها، وسبر كل شيء، ودرس سير السلف الصالح ودرس تفسير الكتاب وهدي السنة على مفاهيم سلفنا الصالح.

فإذا تأهلت ودرست وتعلمت فادع إلى الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ- حتى يأتك اليقين.

والأمر الرابع: الصبر على الأذى في سبيل الدعوة، من المعلوم أن من يدعو إلى الله قد يلاقي كثيرا من الصعوبات التي ربما وجدها من بعض أقاربه وأصدقائه، فيجد كثيرا من المضايقات مع أخذهم بالحكمة والرفق فإن الرفق ما كان في شيء إلا زانه والعنف ما كان في شيء إلا شانه.

فتنبوا فإن الصبر من أعظم عرى الإيمان، ذُكر في القرآن أكثر من تسعين مرة، يقول تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ قال تَعَالىٰ: ﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣)﴾[العصر].

والصبر حبس النفس عن الجزع، وحبسها عن المعاصي، وحبسها على طاعة الله.

إذن هو ثلاثة أنواع: صبر على طاعة الله، وصبر على أقدار الله، وصبر عن معاصي الله.

والآيات والأحاديث في الحث على الصبر كثيرة لا يمكن حصرها، منها قوله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[الكهف:٢٨]، وقوله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللّهِ﴾[النحل:١٢٧]، وقال تَعَالىٰ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ (١٠)﴾[الزمر:١٠]، ومن الأحاديث قول النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: "**عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير، إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن**"،[1] وجاء في الحديث الصحيح: "**والصبر ضياء**"، فهو ضياء ينير لك الطريق بإذن الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ-.

هٰذه السورة العظيمة التي أوردها المصنف قال فيها الإمام الشافعي رحمه الله تَعَالىٰ: (**لَوْ مَا أَنْزَلَ اللهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إلاَّ هٰذه السُّورَةَ لَكَفَتْهُمْ.**) لماذا يا عبد الله؟ لأنها بينت طريقين لا ثالث لهما: طريق الخسران والخيبة والعياذ بالله؛ وهو طريق الكفار وهم الأكثر.

([1]) **مسلم**: كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير، حديث رقم (٢٩٩٩).

طريق النجاة والفوز برضا الله -جل وعلا- ومن اتصف بهـٰذه الصفات ﴿إِلاَّ الَّـذِينَ آمَنُـوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣)﴾[العصر:٣].

أسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يوفقنا وإياكم لما يحبه ويرضاه.

[الأسئلة]

سؤال (٠١): كتيب عند بعض الحجاج منتشر، وفيه بعض الأوراد كما يزعمون، منها قوله: اللهم صل محمد على وآل سيدنا ومولانا محمد كما تحب وترضى، الله رب محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نحن عباد محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

الجواب: أعوذ بالله من الشرك وأهله، نحن عباد محمد؟ نحن عباد محمد هكذا بهـٰذا اللفظ؟ أيوجد مثل هٰذا الكتاب لدى المسلمين؟ لدى من ينتسبون إلى الإسلام؟ وا أسفاه ما أبعد الناس عن الدين الحق، وما أكثر الشرك في أمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إلا من رحم الله، نحن عباد محمد ؟ نحن عباد الله يا عبد الله يا مسكين، الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول: "**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم**"،[1] ماذا قالت النصارى؟ قالت النصارى: المسيح ابن الله. وقالت اليهود: عزير ابن الله. وقال من وقع في الشرك من المنتسبين لـهٰذه الأمة: نحن عباد محمد.

ما الفرق؟ والله لا فرق بين من يذبح لمحمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أو ينذر له، وبين من يذبح لعيسى أو لموسى أو للات ومناة وهبل، الكل مخلوق لا تجوز عبادته، كما سمعتم الحديث عن المصطفى -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أكثروا الصلاة والسلام عليه بالصيغة الصحيحة التي ليس فيها غلو ولا إفراط وهي: الصلاة الإبراهيمية التي نقولها في التشهد، أو مختصرها، وهي كلمة (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وإياكم والإفراط والتفريط، إياكم والتفريط مثل ما يعمل كتّاب الصحف دائما يذكرون الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- باسمه ولا يذكرونه بوصف الرسالة، ولا يصلون ولا يسلمون عليه، هٰؤلاء مفرطون جفاة جهلة، يعني عندهم من الجفاء ما لا يحصر ودائما يكتبون في كتابتهم: قال محمد، وذهب محمد، وعمل محمد، وهـٰذا محمد، وعبقرية محمد، هٰذا كله كلام فارغ، إنما لابد أن يوصف بالرسالة، لا يذكر إلا مقرونا بوصف الرسالة؛ محمد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ أيضا

---

(١) **البخاري**: كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله: ﴿واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها﴾، حديث رقم (٣٤٤٥).

عندما يكتبون، يكتبون (صلعم) أو يكتبون (ص) أو يكتبون (صلى) بلغ البخل حتى بالحبر والقلـــم، هٰؤلاء هم المفرِّطون كتّاب الصحف.

على العكس منهم المفرِطون هم الذي يكتبون مثل هٰذه الكلمات الشركية التي سمعناهـــا الآن، وهل هٰذا الكتاب يوجد في بلاد المسلمين؟ أنا أستغرب أن يوجد مثل هٰذا الكتاب، ذكره لي البارحة واحد قلت: لا أصدق أنّ مسلما يقول: نحن عبيد محمد، ولا عبيد علي، ولا عبيد الحسين، ولا عبيد البدوي، ولا النقشبندي، ولا الشاذلي، ولا التيجاني ولا غير هٰؤلاء، هٰؤلاء هم عباد، كيف تكـــون عبدا لمن هو عبد الله؟ ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠)﴾[مريم:٣٠]، كما سمعتم الحديث قال الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبد فقولوا: عبد الله ورسوله**» عبد لله ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْـــداً لِّلّـــهِ وَلاَ الْمَلآئِكَـــةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيهِ جَمِيعًا (١٧٢)﴾[النساء:١٧٢]، هٰذا الذي يقول عبد محمد مستكبر عن عبادة الله ومستنكف عن عبادة الله، يا أخي تب إلى الله وأسلم من جديد، واشهد أن لا إلـٰه إلا الله وأن محمدا رسول الله، فإن هـٰذا القول يناقض شهادة أن لا إلـٰه إلا الله، والله من يمدّ يده إلى ميت في قبره يسأله ويدعوه ويرجوه ينقض لا إلـٰه إلا الله، وهـــو لا يدري، من يقول: مدد يا شيخ فلان ينقض لا إلـٰه إلا الله، من يذبح للولي فلان ينقض لا إلـٰه إلا الله، إذْ لا فرق بين من يذبح للنبي أو الولي وبين من يذبح للات والعزى ومناة وهبل، الكل مخلوق.

هل يُعبد المخلوق يا عبد الله؟ اتق الله وارم هٰذا الكتاب، وتبرأ منه براءة الـــذئب مـــن دم ابـــن يعقوب، أحرقه، أبعده، عليك بكتاب الله سنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومنهج السف الصـــالح؛ الصحابة والتابعين الأئمة الأربعة –الإمام مالك، الإمام أبو حنيفة، الإمام الشافعي، والإمام أحمـــد–، الأوزاعي، الليث بن سعد، سفيان بن عيينة، البخاري، مسلم، النسائي، أبو داوود.. إلى آخر الأئمة المهديين المتقدين منهم والمتأخرين، فاتق الله يا عبد الله، وأقبل على الله، ارم بهـٰذا الكتـــاب، فإنـــه كتاب مليء بالشرك.[١]

❁❁❁❁

(١) انتهى الشريط الأول.

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب:

[المتن]

اعلمْ رحِمكَ اللهُ: أنَّهُ يجبُ على كلِّ مسلم ومسلمة تَعَلُّمُ هٰذه الثلاث مسائل والعملُ بهنَّ:

الأولى: أنَّ اللهَ خَلَقنا ورَزَقَنا ولم يتركْنا هملاً؛ بل أرسلَ إلينا رسولاً فمنْ أطاعَهُ دخلَ الجنَّةَ ومنْ عصاهُ دخلَ النّارَ. والدليلُ قولُهُ تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً (١٥) فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلاً﴾[المزمل:١٥-١٦].

[الشرح]

بسم الله الرحمـٰن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله سلم وبارك وأنعم على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وبعد؛ بعد أن فرغ المصنف -رحمه الله تَعَالىٰ- من بيان أهمية المسائل الأربع التي أذكّر بعنوانيها وهي:

- الإيمان المبني على العلم.
- والعمل.
- والدعوة إليه.
- والصبر على الأذى فيه.

وقد عرفنا ذلك بأدلته في الدرس الماضي.

شرع -رحمه الله- في بيان ثلاث مسائل أخرى مهمة جدا في حياة المسلم.

وذكر المسألة الأولى وهي: أنه يجب على كل مؤمن أن يعلم علم يقين أن الله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- لم يخلقنا عبثا، و لم يتركنا هملا، فإنه بمجرد أن زاغ الناس عن الفطرة واجتالتهم الشياطين بسبب الغلو في الصالحين والتعلق بأصحاب القبور، بدأ إرسال الرسل، ابتداءً من أولهم نبي الله نوح -عليه السلام- إلى خاتمهم وأفضلهم وسيدنا وسيدهم وسيد الأولين والآخرين نبينا محمد بن عبد الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وبارك عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

كلهم أرسلوا ليخرج الله بهم الناس من الظلمات إلى النور، ومن عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، فكلهم دعوا إلى التوحيد، ولذلك قال في هٰذه المسألة: (بل أرسل إلينا رسولا) هٰذا الرسول هو بشر مثلنا يأكل ويشرب، ويحيى ويموت، وينكح ويتزوج؛ ولكن اختاره الله -جل وعلا- وميزه واصطفاه، ولا يحتاج إلى مثل هٰذا الصوت المنكر -الذي سمعته الآن- فصلٍّ ما بينك وبين نفسك يا عبد الله، وأما إن كنت تريد التشويش فأنت آثم في هٰذا المكان، وقد ارتكبت جرما وإثما، فصلوات الله وسلامه عليه على الرغم من أنوف من لا يرضى بذلك، أو من يغلو في ذلك، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه ومن دعا بدعوته، فهو بشر عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، ومن أنكر أنه بشر فهو كافر؛ لأن الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ- يقول: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ ما هي الميزة التي ميزه الله بها عن بقية البشر؟ أنظر إلى بقية الآية ﴿يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ﴾[الكهف:١١٠]، هٰذه الميزة العظيمة التي لم يبلغها بشر غيره، ما عدا الأنبياء الآخرين -عَلَيْهِم الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ-، فهو -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ- أرسله الله إلينا لينقذنا من عبادة الأصنام والأوثان والأضرحة والقبور والصالحين إلى عبادة الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ-، ولذلك فإن له مثل أجور جميع الأمة -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ-.

ولذلك من أطاعه دخل الجنة، وطاعته من طاعة الله ﴿مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا (٨٠)﴾[النساء:٨٠]. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً (٥٩)﴾[النساء:٥٩].

فيا عبد الله احترام الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ليس بهٰذا الصياح، وليس بهٰذا الصوت، وليس بالغناء، وليس بالرقص، وليس بإقامة الحفلات المنكرة البدعية، وليس بإقامة الأعياد الجاهلية، وليس بقراءة قصيدة البردة الشركية، وليس بالغلو والمبالغة، وإنما يكون ذلك باتباعه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، والسير على هديه في كل صغيرة وكبيرة، وفي فعل كل أمر واجتناب كل نهي، هٰذا هو حبه الحقيقي، أما الصياح والتغني بالصلاة والسلام عليه، والله لا تثاب عليه، أبدا، اتخاذها غناء ورقصا وأصواتٍ تصوت بأعلى صوتك، هٰذا لا تثاب عليه يا عبد الله؛ لأنه مخالف لهديه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إذا كان هو -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ- لما سمع من يرفع صوته بالتكبير باستثناء ما أذن الله بالرفع فيه الصوت كالتلبية و أيام التكبير المطلق والمقيد، أيام العشر وأيام العيد وأيام التشريق والعيدين، باستثناء ذلك لا ترفع الأصوات بالتكبير، ولذلك لما سمع النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-

أناسا يرفعون أصواتهم بالتكبير، قال: «**أيها الناس اربعوا على أنفسكم، فإنكم لا تنادون أصما ولا غائبا، إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته**»[١] أو كما قال -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ- فتنبه يا عبد الله، هٰذا الصياح وهٰذا الغناء والتغني بالصلاة عليه، واتخاذ رقصات شعبية، هٰذا كله بدع وخرافات ما أنزل الله بها من سلطان، أنت تصلي وتسلم عليه بينك وبين نفسك، والله ويبلغه له ولو كنت في آخر الدنيا، سواء كنت في الشرق أو في الغرب، ولذلك يقول الرسول -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ- أكثروا من الصلاة والسلام عليه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: «**وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيثما كنتم**»،[٢] ويقول عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: «**ما من عبد يصلي عليّ إلا ورد علي روحي فأرد عليه السلام**»[٣] ويقول عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: «**إن لله ملائكة سياحين يبلغونني عن أمتي السلام**»،[٤] فلا نحتاج إلى أصوات وإلى صياح ولا زعيق، أبدا كل هٰذا لا نحتاج إليه، وإنما صلِّ وسلم عليه -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ-، فيما بينك وبين نفسك، ولا داعي أن ترفع صوتك كالصوت الذي سمعنا قبل قليل، فإنه صوت مزعج ومنكر ومخالف لهدي النبي -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ- ولهدي أصحابه الكرام الذين تلقوا عنه السنة وعرفوها ودرسوها وتلقوها مشافهة من المصطفى -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ- فمن أطاع هٰذا الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في أقواله وأفعاله وتقريراته دخل الجنة، ومن عصاه دخل النار، يقول عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: «**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى**» قالوا: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: «**من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى**»[٥] فمن أطاعه باتباع السنة وتطبيق شرعه، وامتثال أمره واجتناب نهيه، والعبادة وفق هديه، وابتعد عن البدع صغيرها وكبيرها، وجزئيها وكليهما، بسيطها ومركبها، وحقيقيّها وإضافيِّها، ما يسمى بحسن أو قبيح، مع أن البدع كلها قبيحة بلا استثناء، ولا يوجد في الدين شيء اسمه بدعة حسنة، إلا ما ابتدعه المخرِّفون

---

(١) **البخاري**: كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، حديث رقم (٤٢٠٥).

مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب استحباب خفض الصوت بالذكر، حديث رقم (٢٧٠٤).

(٢) **سنن أبي داوود**: كتاب الحج، باب زيارة القبور، حديث رقم (٢٠٤٢)، قال الشيخ الألباني: صحيح.

(٣) **سنن أبي داوود**: كتاب الحج، باب زيارة القبور، حديث رقم (٢٠٤١)، قال الشيخ الألباني: حسن.

(٤) **سنن الترمذي**: كتاب الدعوات، باب ما جاء أن لله ملائكة سياحين في الأرض، حديث رقم (٣٦٠٠)، قال الشيخ الألباني: صحيح.

(٥) **البخاري**: كتاب الاعتصام بكتاب الله وسنة رسوله، باب الاقتداء بسنن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حديث رقم (٧٢٨٠).

وعباد القبور والأضرحة والأصنام والأوثان، فمن أطاعه دخل الجنة، ومن عصاه فقد أبى، ولذلك يقول الله عز وجل: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِدًا عَلَيْكُمْ﴾ من هو؟ نبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً﴾ من هو؟ نبي الله موسى عليه السلام، ﴿فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ﴾ عصى موسى، ﴿فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلاً﴾ أي أخذًا نكدًا -والعياذ بالله- لما عصى الرسول، وتنكّب عن أمره، وبعد عن هديه، وعلا واستكبر، وادعى الألوهية والربوبية، عندها أخذه الله أخذ عزيز مقتدر.

[المتن]

الثانية: أنَّ اللهَ لا يرضى أن يُشْرك معهُ أحدٌ في عبادتِه لا مَلَكٌ مُقَرَّب ولا نبيٌّ مُرْسَل، والدليلُ قولُهُ تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾[الجن:١٨].

[الشرح]

هٰذه المسألة الثانية أيضا من أهم المسائل، بما أن الله -جل وعلا- كما في الدرس الماضي هو: الرب، الخالق، المتصرف، المالك، المدبر لجميع الأمور، الذي خلقنا وربانا بنعمه، فإنه وحده المستحق للعبادة، فكيف **يخلق** ويُعبد غيره؟ **ويرزق** ويُطاع سواه؟ **ويوفق** وتصرف العبادة للأصنام والأوثان وأصحاب القبور والأضرحة؟ هٰذا من الظلم، وأعظم الظلم هو الشرك بالله ﴿يَا بُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (١٣)﴾[لقمان:١٣]، والظلم هو وضع الشيء في غير موضعه، وأعظم وأخبث أنواع الظلم هو الشرك بالله عز وجل، كمن يمد يديه إلى أصحاب القبور يسألهم قضاء الحاجات وكشف الكربات، فما عُصي بذنب أعظم من الشرك، ولذلك خاف منهم الأنبياء والمرسلين -عَلَيْهِم الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ- فهذا نبي الله وخليله إبراهيم -عليه السلام- يلجأ إلى ربه خوفا من الشرك، فيقول الله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- حكاية عنه ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ (٣٥)﴾[إبراهيم:٣٥]، إبراهيم يلجأ إلى الله خوفا من الأصنام ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣٦)﴾[إبراهيم:٣٦]، عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، ما أرأفه بأمته، وما أرأف نبينا -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بأمته، فلذلك خاف من الشرك، ولجأ إلى الله لأن يحول بينه وبينه؛ لأن الشرك أخفى من دبيب النمل، "**الشرك فيكم أخفى من دبيب**

النمل»[١] هكذا يقول رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فاحذروا -عباد الله- من الشرك، الشرك بجميع أشكاله وأنواعه -الأصغر والأكبر، الجلي والخفي-، فإن الله -عز وجل- لا يرضى أن يشرك معه أحد، ولو كان هٰذا المعبود ملكا مقربا -من الملائكة-، أو رسولا نبيا -من الرسل والأنبياء-، فمن يعبد جبريل أو إسرافيل أو ميكائيل، أو من يعبد عيسىٰ وموسى أو نبينا محمدا -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فيسأل أحدا منهم شيئا من قضاء الحاجات وكشف القربات، ولو كان أفضل الرسل -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- من وقف ببابه وقال: أسالك يا رسول الله، أعطني يا رسول الله، أغثني يا رسول الله، فهو مشرك شركا أكبر؛ لذلك يا عبد الله الجأ إلى الله، الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لما سمع الرجل يقول: ما شاء الله وشئت. قال: «**أجعلتني لله ندا؛ بل قال: ما شاء الله وحده**»[٢] ولما سمع الرجل الذي يقول: ما شاء الله وشاء محمد، قال: «**لا تقولوا: ما شاء الله وشاء محمد؛ ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء محمد**»؛[٣] لأنّ (ثم) تفيد الترتيب مع التراخي، أما الواو فإنها تفيد مطلق الجمع، فتحتمل التشريك.

فانتبه يا عبد الله إلى خطورة التعلق بالأنبياء أو الأولياء أو الصالحين أو الملائكة أو طلب شيء منهم من دون الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ-؛ فإنهم لا ينفعونك؛ بل والله سيتبرؤون ممن يفعل ذلك معهم يوم القيامة ﴿**تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ (٦٣)**﴾[القصص:٦٣]، انتبه.

والدليل على أن الله -عز وجل- لا يرضى أن يشرك معه أحد ولو كان ملكا مقربا أو نبيا مرسلا أو حجرا أو شجرا، قول الله - تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ-: ﴿**وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا**﴾[الجن:١٨] أي فلا تعبدوا معه أحدا وقوله تَعَالىٰ: ﴿**قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلاَ أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا (٢٠) قُلْ إِنِّي لاَ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلاَ رَشَدًا (٢١)**﴾[الجن:٢٠-٢١]، فإذا كان الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مع فضله ومنزلته العظيمة يأمره الله أن يقول: ﴿**قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاء اللّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَاْ إِلاَّ نَذِيرٌ**

---

[١] صحيح الجامع حديث رقم (٣٧٣٠).

[٢] **مسند أحمد (تحقيق أحمد شاكر)**: حديث رقم (١٨٣٩)، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

سنن البيهقي: كتاب الجمعة، باب ما يكره من الكلام في الخطبة، حديث رقم (٥٨١٢).

أورده الشيخ الألباني في **السلسلة الصحيحة** برقم (١٣٩) وقال: إسناده حسن.

[٣] **سنن النسائي**: كتاب الأيمان والنذور، باب الحلف بالكعبة، حديث رقم (٣٧٧٣). وأورده الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (١٣٦) وذكره مخارجه. وقال أخرجه النسائي بإسناد صحيح.

وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (١٨٨)﴾[الأعراف:١٨٨] فعلى المسلم أن يفهم هٰذه القضايا، وأن يخلص عمله وعبادته لله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- وحده دون سواه.

[المتن]

الثالثة: أنَّ مَنْ أطاعَ الرسولَ ووحَّدَ اللهَ لا يجوزُ لهُ مُوالاةُ مَنْ حادَّ اللهَ ورسولَهُ ولو كان أقْرَبَ قريبٍ. والدليلُ قوله تعَالىٰ: ﴿لاَ تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلاَ إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمْ الْمُفْلِحُونَ﴾[المجادلة:٢٢].

[الشرح]

المسألة الثالثة تتعلق بالبراءة من المشركين ومحادّتهم ومعاداتهم؛ لأنّ الإسلام لا يصح إلا بولاء وبراء، ولاء لطاعة الله وأهل طاعة الله من المؤمنين الذين آمنوا بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- نبيا، وطبقوا ما يقتضيه ظاهرا وباطنا، والمعاداة والبراءة من المشركين بجميع أشكال البراءة، كما قال الله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- حكاية عن نبي الله إبراهيم: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاء مِّمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ (٢٧) وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٢٨)﴾[الزخرف:٢٦-٢٨]، وقال الله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَاء مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾[الممتحنة:٠٤]، وفي سورة التوبة ﴿بَرَاءةٌ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ (١)﴾[التوبة:٠١]، وفي الآية الأخرى ﴿وَأَذَانٌ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ أَنَّ اللّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾[التوبة:٠٣].

فإذن هٰذه البراءة تستلزم قطع جميع التعلق بالشرك والمشركين والأصنام، وهٰذا هو معنى (لا إلٰه إلا الله)؛ إذ أن معنى (لا إلٰه إلا الله) لا معبود بحق إلا الله، هٰذا معنى (لا إلٰه إلا الله) وليس له معنى آخر غير ذلك، وهٰذه حقيقة الولاء والبراء، فإنّ من أطاع الله وأحبه ووحده حق التوحيد لا يصح توحيده إلا أن يبرأ من المشركين، كما أمر الله تَعَالىٰ نبيه أن يتبرأ منهم، أن يتبرأ منهم كل التبرؤ، فلا يقبل شيئا مما يتعلّق بأصنامهم أو يهادنهم عليه، وقد بذلوا كلّ المستطاع لرسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حتى لقد عرضوا عليه الملك، وعرضوا ما شاء من بناتهم، وعرضوا عليه كل شيء

مقابل أن يتنازل لهم، فكان جوابه: «**لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هـٰذا الأمر ما تركته حتى يعليه الله أو أهلك دونه**»، [١] هٰذه هي حقيقة البراءة من الشرك والمشركين، ولذلك يعرّف أهل العلم الإسلام بأنه: الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله. وجاء في الحديث: «**أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله، والموالاة في الله والمعادة في الله**» [٢] ويقول رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا، والإسلام دينا، وبمحمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- رسولا**»،[٣] يقول عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: «**ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواها، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار**». [٤]

قد استشهد المصنف -رحمه الله- بالآية العظيمة في سورة المجادلة ﴿**لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ**﴾ ويذكر في أسباب النزول أنها نزلت في أبي عبيدة عامر بن الجراح -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أحد المبشرين بالجنة وبراءته من أبيه عندما بقي على كفره فنزلت الآية ﴿**لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ**﴾ المودة التي تستلزم النصرة، المودة تشعر بشيء في القلب، ليس المقصود بها المعاملة، المعاملة سنبينها، لكن المقصود بالمودة أنه يحب المشركين ويواليهم، يحبهم ويحب تقليدهم، يحب التشبه بهم «**ومن تشبه بقوم فهو منهم**» [٥] وهٰذا ينطبق على كثير ممن أعجب بالبهرجة الغربية أو الشرقية في هـٰذا الزمان من أولئك الذين تفرنجوا واستغربوا وتنكروا لدينهم وعقيدتهم، وأصبح التشبه هو ديدنهم والعياذ بالله، فيحتقرون من يدعو إلى دين الله، وهم يتسمّون بالإسلام، وينتسبون إلى الإسلام، ومع ذلك هم

---

[١] أورده الشيخ الألباني في السلسلة الضعيفة برقم (٩٠٩).

[٢] أورده الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٩٩٨). وقال: الحديث بمجموع طرقه لا ينزل على مرتبة الحسن على الأقل، والله أعلم.

[٣] البخاري: كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان، حديث رقم (١٦).

مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان، حديث رقم (٤٣).

[٤] البخاري: كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان، حديث رقم (١٦).

مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان، حديث رقم (٤٣).

[٥] **مسند أحمد** (بتحقيق أحمد شاكر) حديث رقم (٥١١٤، ٥١١٥)، قال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

يتنكرون لدينهم يتبرمون من الدعاء إلى الشعائر الدينية، وربما جاملوا المشركين، وداهنوهم إلى حد التنازل عن الدين، وعن العقيدة، وذلك مثل الذين يقولون بوحدة الأديان، والذين يتنازلون عن بعض الأمور مقابل أن يرضى عنهم اليهود والنصارى، والله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ- يقول: ﴿وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾[البقرة:١٢٠]، فإن هٰذا الصنف من الناس قد مسخوا -والعياذ بالله- والله هم ممسوخون، نعم نحن نأخذ من أمور الدنيا من هٰؤلاء ما نحتاج إليه من الحضارة، ومن سائل التقدم المادي بشرط أن لا يعارض شيئا من مبادئ ديننا، وأن لا يكون ذلك على حساب ديننا، ولا بأس أن نستفيد من خبراتهم الدنيوية، وأن نتعامل معهم المعاملات الشرعية والإيجار والاستئجار ونحو ذلك، وهٰذه أمور مشروعة ولا دخل لها بالولاء البراء، وعلي بن أبي طالب أجّر نفسه ليهودية فترح لها ست عشرة دلوا كل دلو بتمرة، وهٰذا يدل على ما عليه الصحابة من الفاقة والجوع، ونحن ما الآن فيه، ومع ذلك مقصرون في جانب الله، فالتعامل والمعاملة والاستئجار والاستفادة من الخبرات ونحو ذلك، وأخذ العلوم المادية الطبية التكنولوجية التي نستفيد منها في أمر ديننا ودنيانا، وهٰذا أمر لا دخل له في أمر الولاء والبراء، بعض الناس يخلط، إنما الولاء لهم كأن يحبهم ويناصرهم ويمجدهم، ويعني يطريهم ويعجب بأمورهم إلى درجة أنه يتنكر لدينه والعياذ بالله، هٰذه هي الموالاة المنهي عنها في الآية، ولذلك قال: ﴿لاَ تَجِدُ قَوْمًا﴾ وهٰذا نفي بمعنى النهي؛ أيّا كان هؤلاء القوم من المؤمنين ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾، ﴿مَنْ حَادَّ﴾ أي حارب وأبغض وكره، ولو كانوا أقرب الأقربين، وضرب مثلا بالآباء والأبناء والعشيرة؛ لأن ذلك منافٍ للدين.

ثم وصف هؤلاء المؤمنين الذين يوالون في الله ويعادون في الله ويحبون في الله ويبغضون في الله، بأن الله كتب في قلوبهم الإيمان ووفقهم للإيمان الصحيح المبني على القول والعمل والاعتقاد وأيدهم بروح منه ووفقهم بتوفيقه وأيدهم بتأييده وبقوة؛ يعني أعطاهم قوة مقابل اعتمادهم على الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ- ﴿وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ﴾ هٰذه كلها بشارات ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾، بعد ذلك ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾، بعد ذلك ﴿أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلاَ إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمْ الْمُفْلِحُونَ﴾ حزب الله الصادقين المؤتمرين بأمره وأمر رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والمنتهين عن نهيه ونهي رسوله عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، إذ ليس المقصود من الوصف بحزب الله مجرد التسمية، ولو كان العمل مخالفا لهدي كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإنما المقصود حزب الله الحقيقيون الذين يقضون بالحق وبه يعدلون، الذين يؤمنون بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- نبيا.

ولذلك –إخواني– ينبغي أن نميز، هناك أمر أود أن أوضحه أكثر، عندنا: المداهنة، والموالاة، والمجاملة، والمداراة، فما الفرق بينها، وإلى أي حد تكون؟ المداهنة هي التّنازل عن أمر من أمور الدين مقابل أن يرضى الناس عنا ومجاملتهم في ذلك، وهٰذا في غاية الخطورة، وهٰذا يعني أنه يحبهم ويواليهم، إذا كان يداهنهم في أمور الشّرع فيفعل ما راق له ويترك و لم يرق له في زعمه مقابل أن يرضى عنه اليهود والنصارى وأشكالهم، من المتفرنجين والمتشبهين بالإفرنج، فهٰذه محرمة، وإذا وصلت إلى حد التعلق بمعتقداتهم فهو الشرك بعينه، وإذا كانت دون ذلك فهي من أكبر الكبائر، هٰذه المداهنة والموالاة والمناصرة لهم.

وهناك شيء يسمى المداراة، وهٰذا مبدأ معمول به شرعا، وهو درء المفاسد مقدم على جلب المصالح، الرسول –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– طرق الباب عليه رجل، فلما سمع صوته قال: «**بئس أخو العشيرة**»؛ لكنه عندما دخل تطلق في وجهه وألان له الحديث، فقالت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْها: عندما طرق الباب قلت ما قلت، وعندما دخل تطلقت في وجهه وألنت له الحديث. قال: «**متى عهدتني فاحشا يا عائشة إن شر الناس من يتركه الناس اتقاء شره**»،[1] فبعض الناس قد يدارى، وقد دارى النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– المنافقين و لم يداهنهم، وإنما داراهم حفاظا على كلمة المسلمين، ولئلا يَفتح عليهم ثغرات للأعداء الآخرين، ولما سئل يقول –عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ–: «**معاذ الله أن يقال: إن محمدا يقتل أصحابه**»،[2] فهم في الظاهر يشهدون أنّ (لا إلٰه إلا الله وأن محمدا رسول الله) وقد أخبر حذيفة بكثير منهم، ومع ذلك كله فقد تركهم، هل هو مداراة أو مداهنة؟ مداراة، وفرق بين المداراة المداهنة، ومن المدارة قول النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: «**لولا أن قومك حدثاء عهد بشرك أو بكفر لهدمت الكعبة ولأعدتها على قواعد إسماعيل**»[3] الكعبة هدمت وبنيت على قواعد إسماعيل، ثم هدمت، ثم أعيدت، فما الذي جعلها على ما كانت عليه في عهد قريش؟ في عهد المنصور استشار الإمام مالك وقد حصل أيام عبد الله بن الزبير –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– أنه أعادها على

---

(١) **البخاري**: كتاب الأدب، باب لم يكن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاحشا ولا متفحشا، حديث رقم (٦٠٣٢).
مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب مداراة من يتقى فحشه، حديث رقم (٢٥٩١).

(٢) **البخاري**: كتاب التفسير، باب ﴿سواء عليهم أستغفرت لهم... ﴾ حديث رقم (٤٩٠٥).
مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب نصر الأخ ظالما أو مظلوما، حديث رقم (٢٥٨٤).

(٣) **البخاري**: كتاب الحج، باب فضل مكة وبنيانها .. رقم الحديث (١٥٨٣، ١٥٨٥، ١٥٨٤، ١٥٨٥).
مسلم: كتاب الحج، باب نقض الكعبة وبنائها، رقم الحديث (١٣٣٣).

قواعد إسماعيل، ثم لما جاء الحجاج هدمها وجعلها على الوضع القديم، واستمر هٰذا الحال إلى أن جاء المنصور الخليفة العباسي -رحمه الله- فاستشار الإمام مالك -رحمه الله تَعَالىٰ- في أن يعيدها على قواعد إسماعيل، الإمام مالك عرف ما جرى للكعبة خلال أكثر من مائة وخمسين أو وأربعين عاما، فقال: لا تفعل يا أمير المؤمنين لئلا أن تتخذ الكعبة ألعوبة بين الحكام. فبقيت على ما هي عليه، ومع ذلك بُيِّن الْحِجر ليعلم الطائفون أن الحجر جزء لا يتجزأ من الكعبة، فأرجو أن يعي الحجاج ذلك، لا يطوفن أحد من داخل الحجر فيعتبر قد طاف من داخل الحجر يعتبر قد ترك شيئا من الطواف.

فهٰذا هو المقصود بالمداراة، المداراة ترك بعض الأمور لما هو أهم منها أو تأجيل بعض الأمور لما أهم منها، ما الفرق بين المداراة وما يحدث الآن من مداهنة بين الكفار وتنازل لهم حتى من المنتسبين إلى الإسلام، أحلّوا لهم الأغاني، وأحلّوا لهم الربا، وأحلّوا لهم الاختلاط، وأحلّوا وحدة الأديان، وأحلّوا لهم التمثيليات، ولن يرضوا عليهم ولو أحلوا كل محرم، ماذا بقي؟

فالقضية فرق بين المداراة وبين المداهنة والتنازل، قد تجوز المهادنة مع أعداء الدين حتى تقوى شوكة المسلمين، وقد فعل هٰذا النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مع قريش حتى نقضوا العهد، وفعلها كثير من الخلفاء؛ حتى إن الرشيد -رحمه الله- اضطر يوما من الأيام أن يدفع الجزية للروم، فلما نصره الله عليهم استعادت قوة المسلمين.. فأحيانا المهادنة -ليست المداهنة- المؤقتة جائزة بشرط أن يحسب المسلمون حسابهم للمستقبل؛ لكن المداهنة، لا، محرمة، والموالاة محرمة، والنصرة محرمة، إنما تجوز المداراة وهو البدء بالأهم، إذا كان هناك شيء مهم؛ لكن هناك ما هو أهم منه، فلنبدأ بما هو أهم منه، وبخاصة إذا علمنا أن فعله قد يحدث فتنة بين الناس بسبب جهل كثير من المسلمين بدينهم.[1]

(1) انتهى الشريط الثاني.

بسم الله الرحمن الرحيم

[المتن]

اعلَمْ -أرشدَكَ اللهُ لطاعتِه- أنَّ الحنيفيةَ: مِلَّةَ إبراهيمَ، أنْ تعبدَ اللهَ وحدَهُ مخلصًا له الدِّين، وبذلك أَمَرَ اللهُ جميعَ الناس وخلَقهم لها، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾[الذاريات:٥٦]، ومعنى ﴿يَعْبُدُونِ﴾ يوحِّدون، وأعظمُ ما أَمرَ اللهُ به التوحيدَ وهو: إفرادُ اللهِ بالعبادة وأعظمُ ما نهى عنه الشركُ؛ وهو دعوةُ غيرِهِ معهُ، والدليل قوله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾[النساء:٣٦].

[الشرح]

الحنيفية هي ملة إبراهيم عليه السلام، ومعناها الاستقامة على طاعة الله، وأصل الحنيفية مأخوذة من الميل عن طريق الاعوجاج إلى طريق الحق هٰذا هو معناها، فالمقصود أنها فطرة الله التي فطر الله الناس عليها، لا تبديل لخلق الله، وقد أمرنا الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- أن نتبع ملة إبراهيم حنيفا، أي: مائلا عن الباطل إلى الحق، ومائلا عن طريق الغواية إلى طريق الرشاد، وعن طريق الضلال إلى الهدى، هٰذا هو معنى كلمة الحنيفية، ملة إبراهيم -عَلَيْهِ السَّلاَمُ-؛ بمعنى الذي يميل صاحبها عن طريق الغواية إلى طريق الهداية والاستقامة والرشاد؛ فيخلص من حبائل الشيطان وألاعيبه وتزيينه وتلبسه، ويُخلص عبادته لله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- كما قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢٠)﴾[النحل:١٢٠]، وكما قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢٣)﴾[النحل:١٢٣]، وقول الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- في وصف المؤمنين عباد الرحمٰن: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ (٥)﴾[البينة:٥]، فالحنيفية هي ملة إبراهيم الخليل -عليه السلام-، وحقيقتها عبادة الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- ونبْذ عبادة من سواه كما قال جل وعلا: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلاَ لِيَعْبُدُونِ (٥٦)﴾[الذاريات:٥٦]، ولا يتم ذلك إلا بالبراءة من الشرك وأهله كما قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا﴾[النساء:٣٦]، وقوله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا﴾[الأنعام:١٥١]، وكما قال -تعالى- حكاية عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاء مِّمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلاَ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ (٢٧) وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٢٨)﴾[الزخرف:٢٦-٢٨]، ولذلك

فإن من استقام على هـٰذه الحنيفية هدي ورشد ووفق في الدنيا وآخرة، ومن حاد عنها خاب وخسر، فعلينا أن نستقيم على طاعة الله، وأن نكون حنفاء كما أمرنا الله، ملة أبيكم إبراهيم، فعلينا أن نلزم طاعة الله تعالى، وأن نجتنب محارمه، وأن نقف عند حدوده، وأن نراقبه في السر والعلن، وأن تكون طاعة الله فوق طاعة من سواه، ورأسها وأساسها وقطب رحاها توحيد الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-، وإفراده -جل وعلا- بالعبادة؛ لأن هـٰذا هو الأمر الذي دعت إليه الرسل جميعا، ومن أجله خلق الله الثقلين ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلاَ لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (٥٨)﴾[الذاريات:٥٦].

[المتن]

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَا الأُصُولُ الثلاثةُ التي يجبُ على الإنسانِ معرفتُها؟ فقُلْ: معرِفةُ العبدِ رَبَّهُ، ودينَهُ، ونبيَّهُ محمدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فإذا قيلَ لكَ: مَنْ رَبُّكَ؟ فقلْ: ربيَّ اللهُ الذي ربّاني وربَّى جميعَ العالمينَ بنعمِهِ، وهو معبودي ليس لي معبودٌ سواهُ، والدليلُ قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[1] وكلُّ ما سِوَى اللهِ عالَمٌ وأنا واحدٌ من ذلكَ العالَمِ.

[الشرح]

الآن شرع الشيخ -رحمه الله- بعد بيان هـٰذه المقدمة في المسائل الأربع، ثم المسائل الثلاث، ثم بيان معنى الحنيفية، التي تعتبر توطئة لهذا الأساس العظيم وهي معرفة أصول الدين الثلاثة.

وهـٰذه الأصول الثلاثة هي التوحيد بعينه:

- فإذا عرفت ربك وعبدته وأفردته في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته.
- وإذا آمنت بنبيك -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- واتبعت هديه القويم.
- وإذا عرفت مسائل الدين، فعرفت الحلال من الحرام، والسنة من البدعة، والطيب من الخبيث.

نجوت بإذن الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-؛ ذلك لأن هـٰذه الأصول هي أول ما يجب على العبد، وليس المقصود أنه يجب عليه أولا النظر أو القصد إلى النظر أو الشك كما تقوله بعض الفرق الضالة، وإنما

---

[1] سورة: الفاتحة الآية (٢)، يونس الآية (١٠)، الزمر الآية (٧٥)، غافر الآية (٦٥).

أول ما يجب عليه العلم بتلك الأصول، وليس المقصود مجرد المعرفة كما يتبادر إلى أذهان بعض الجهلة، فإن إبليس يعرف ربه، وفرعون يعرف ربه، كما قال –تعالى– عن فرعون ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ﴾[النمل:١٤]، وإبليس يقول: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٨٣)﴾[ص:٨٢-٨٣]، ويقول: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦)﴾[الأعراف:١٦]، فهو يعرف الله ويعرف أنه الحق، وكذلك اليهود يعرفون دين محمد –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وأنه الحق ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٤٦)﴾[البقرة:١٤٦].

فالمقصود –يا عبد الله– أن المعرفة المجردة لا قيمة لها، ولذلك ما نفعت إبليس وفرعون واليهود ومن تتلمذ عليهم مثل جهم، وغيرهم ممن يزعمون أن الإيمان والدين هو مجرد المعرفة، وإلا لكان من يعرف الله –تعالى– ثم يكفر به على علم يكون مؤمنا على هٰذه العقيدة الفاسدة التي تنسب إلى الكرامية.

على أية حال إن معرفة هٰذه الأصول يجب أن نعلم بها علما يقينيا قبل أن نعلم بأس شيء؛ لأن جميع الأمور تنبني عليها، فهٰذه أول ما تسأل عنها، أول ما يطلب منك التكلم بها، وأول ما تسأل عنها في قبرك؛ يقال لك: من ربك؟ ما دينك؟ من نبيك؟ يعني هٰذه الأسئلة الثلاثة توجه إلى كل واحد في قبره، فإن كان مؤمنا أجاب، وإن كان كافرا ولو كان يعرف الجواب في الدنيا، فإنه لا يستطيع الإجابة لأنه لم يحقق مقتضى ذلك في الحياة الدنيا عندما كان حيا وعندما رزقه الله –تعالى– الصحة والعافية ومد في عمره؛ لكنه لم يستجب لداعي الهدى، فكان جزاؤه أنه لا يوفق للإجابة، نسأل الله وإياكم الثبات، اللهم ثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

ولذلك –يا إخوتاه– لا تستغربوا إذا كنا في دروسنا نركز على التوحيد وأهمته، فهٰذا هو كل شيء، وهو رأس المال، وهو الذي يجب أن يعضَّ عليه بالنواجذ، وهو الذي أول ما تسأل عنه يوم القيامة: من ربك؟ ما دينك؟ من نبيك؟

تنبه لهذه الأسئلة يا عبد الله، وطبِّقها، إن الذي لا يطبق ما يقتضيه الدين، ولا يطبق في هٰذه الحياة الدنيا عبادة ربه، ويتنكّر لداعي الهدى، فإنه لا يوفَّق للإجابة إذا أصرَّ على الشرك من عبادة الأصنام والأوثان والقبور والأحجار وما إلى ذلك، فإنه لا يوفق للإجابة؛ لأنه على غير هدى، فلابد أن نتفهم، لماذا دائما يركِّز العلماء وطلاب العلم على هٰذه القضايا المهمَّة التي هي أساس الدين وقطب رحاها.

وأول هـٰذه الأصول معرفة الله -جل وعلا- أي العلم به وتوحيده في أولهيته، وفي ربوبيته، وفي أسمائه وصفاته وأفعاله.

بأن نؤمن به ربا وإلـٰها ومعبودا وموصوفا بصفات الكمال ونعوت الجلال.

(**فإذا قيلَ لكَ: مَنْ رَبُّكَ؟ فقلْ: ربيَّ اللهُ**) وهـٰذا أمر مركوز في الفطر، فلنلقِّن أطفالنا هـٰذا منذ نعومة أظفارهم، ونلقنهم هـٰذه الإجابة (**فقلْ: ربيَّ اللهُ**) وهي فطرة فطر الله الناس عليها، (**ربيَّ اللهُ الذي ربّاني وربَّى جميعَ العالمينَ بنعمِهِ**) وما دام هو الذي تفضل علي بالنعم وخلقني من العدم وأوجدني بعد أن لم أكن حتى وجدت في هـٰذه الحياة.

إذن (**هو معبودي ليس لي معبودٌ سواهُ**) بما أنه هو الرب المتفضل المنعم المحسن الخالق الرازق المتصرف في كل شيء، إذن هو وحده المستحق للعبادة ،كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاء بِنَاء وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٢)**﴾[البقرة:٢١-٢٢]، فانتبه لهذا يا عبد الله، واحرص على تطبيقه، واعلم أن فقه ذلك هو أساس كل العلوم، وأساس ميل المائل أن يؤمن بالله ربا وإلـٰها ومعبودا وخالقا ومتصرفا، فهـٰذا من أعظم الأمور التي يجب على العبد معرفتها.

(**وكلُّ ما سِوَى اللهِ عالَمٌ**) والله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- هو رب العالمين، كما قال جل وعلا: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾[1] وقول الشيخ: (**وكلُّ ما سِوَى اللهِ عالَمٌ وأنا واحدٌ من ذلكَ العالَمِ.**) لبيان الدلالة على أهمية الفرق أو أهمية الاعتقاد بأن الله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- فوق كل شيء، ورب كل شيء ومليكه، وهو -سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ- أعظم من أن يحاط به أو يُدرك -جلت قدرته سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ-.

فعلينا أن نعي هـٰذه المسألة وأن نغرسها في نفوس الأطفال، بدل أن نعلمه أسماء: المغنيين والمغنيات، والفنانين والفنانات، والضائعين والضائعات، والمنحرفين والمنحرفات، ونتفاخر بتلك المسميات القذرة، علينا أن نركز في ذهن النشء بادئ ذي بدء: عبادة الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ-، وأن الله هو ربه وخالقه ومليكه والمتصرف في شؤونه، وهو الذي يعلم حركاته وسكناته، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وأنه مستوٍ على عرشه فوق جميع خلقه، بائن من خلقه -سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ-. هـٰذه

---

[1] سورة: الفاتحة الآية (٢)، يونس الآية (١٠)، الزمر الآية (٧٥)، غافر الآية (٦٥).

أمور لابد أن تعلم للنشء منذ نعومة أظفارهم بدلا من أن نعلمهم سيرة البطل الفلاني والبطل الفلاني من أبطال الكفر.

فعلينا أن نتنبه لهذا، وأن يكون التوحيد أساس دراسة أبنائنا منذ صفوف الروضة والحضانة، فمن ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ على أول ما يتكلم الطفل يلقن مثل هـٰذه الكلمات، من ربك؟ ما دينك؟ من نبيك؟ فتغرس في نفسه هـٰذه الأسس وهـٰذه الأصول التي يسأل عنها حيا وميتا، والتي هي أول ما يجب على العبد العلم به.

[المتن]

فإذَا قيلَ لكَ: بِمَ عرفْتَ ربَّك؟ فقُل: بآياتِه ومخلوقاتِه؛ ومِنْ آياتِه الليلُ والنهارُ والشمسُ والقمرُ، ومِنْ مخلوقاتِه السمٰواتُ السَّبْعُ والأَرْضُونَ السَّبع ومَنْ فيهنَّ وما بينهما، والدليلُ قولُه تعَالىٰ: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[فصلت:٣٧]، وقولُهُ تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[الأعراف:٥٤].

والرَّبُّ هو المعبودُ، والدليلُ قولُه تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[البقرة:٢١-٢٢]، قالَ ابنُ كثيرٍ رحِمَهُ اللهُ تعالى: الخالقُ لهٰذه الأشياءِ هو المستحقُّ للعبادةِ.

[الشرح]

هنا المصنف -رحمه الله تعالى- بدأ يسوق دلائل قدرة الله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- وهي مركوزة في الفطر؛ فالمخلوق دليل على الخالق، والمصنوع دليل على وجود الصانع، والشيء لا يوجد نفسه؛ بل لابد له من موجد ومحدث هو الله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لاَ يُوقِنُونَ (٣٦)﴾[الطور:٣٥-٣٦].

فهـٰذه الأمور لابد أن نفهِّمها نشأنا وأجيالنا حتى ينشأوا على هـٰذه الفطرة السليمة والأخلاق المستقيمة، حتى ينشأوا نشأة إسلامية حقة أساسها وقطب رحاها توحيد الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ- وإفراده -جل وعلا- بالعبادة.

فإن الله -عز وجل- بين من دلائل قدرته الشيء الكثير وكل ذلك ليستدل به على وجوب إفراده بالعبادة من ذلك قول الله تعالى: ﴿أَفَلاَ يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى السَّمَاء كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (٢٠)﴾[الغاشية:١٧-٢٠]، ومن ذلك قول الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[فصلت:٣٧]، يبين وتقديم الخبر الذي هو الجار والمجرور يفيد الحصر، في قوله: ﴿وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ أي فاسجدوا له، والسجود يشمل الصلاة ويشمل أفعالها وأقوالها، وكان من المعهود عند الجاهليين أنهم يسجدون للأصنام والأوثان والأشجار والأحجار؛ فمنهم من يسجد للشمس، ومنهم من يسجد للقمر، ومنهم من يسجد للشجر، ومنهم يسجد للنجوم، وفي هٰذا العصر هناك من يسجد للمقابر وأصحاب المقابر ويذبح لهم وينذر لهم، فالأمر سِيان، لا فرق بين من يذبح أو يسجد لشجر أو حجر وبين من يسجد أو يذبح لإنسان مهما كان ذلك الإنسان وليا أو غير ولي، فالمهم أن العمل واحد.

فقد استدل بدلائل قدرته على إفراده -تعالى- بالعبودية، ولذلك بعد أن بيّن أن من أعظم آياته وأجلها الليل والنهار والشمس والقمر وهما من آيات الله العظام، ثم قال: ﴿لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ﴾ من الذي يُسجد له؟ الله وحده، ولذلك لما جاء معاذ من الشام وكان قد رأى أن بعض الناس يسجدون لملوكهم وعظمائهم ظن أن ذلك مباح فسجد للنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فنهاه النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وقال له: "**يا معاذ لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها**"،[1] السجود لله وحده، والرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في مقام المعلم، وإلا فالسجود شرك، ولكن يعلم الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أن معاذا لم يفعله متعمدا، وإنما ظن أن ذلك جائز على سبيل التعظيم لا على سبيل العبادة، فأنكر عليه ذلك، وقال: إن ذلك لو كان يجوز لكان الأولى أن تؤمر المرأة أن تسجد لزوجها؛ ولكن السجود لله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-، فلا يسجد لملك

---

[1] سنن الترمذي: كتاب الرضاع، باب ما جاء في حق الزوج على المرأة، حديث رقم (١١٥٩). قال الترمذي: حديث حسن غريب.

سنن ابن ماجه: كتاب النكاح، باب حق الزوج على المرأة، حديث رقم (١٨٥٣)،

قال الشيخ الألباني: حسن صحيح.

أو نبي، لا يسجد لشجر أو حجر، ولا يسجد لقبر أو وثن، ولا لشخص مهما كانت عظمته لا يجوز السجود؛ بل السجود لله وحده ﴿لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ وكذلك السمٰوات والأرض كما سمعنا في سورة الغاشية، وكما في قوله جل وعلا: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[الأعراف:٥٤]، فإذن ما دام هو المتصف بهذا الأمر، وأنه خالق السمٰوات والأرض خالق الجبال وخالق الأشجار وخالق كل شيء. إذن هو وحده المستحق للعبادة دون سواه، فمن صرف شيئا من من أنواع العبادة لغير الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- فإنه يكون مشركا بالله جل وعلا.

[المتن]

وأنواعُ العبادةِ التي أَمَرَ اللهُ بها: مثلُ الإسلامِ، والإيمانِ، والإحسانِ؛ ومنهُ الدعاءُ، والخوفُ، والرجاءُ، والتوكلُ، والرغبةُ، والرهبةُ، والخشوعُ، والخَشيةُ، والإنابةُ، والاستعانةُ، والاستعاذةُ، والاستغاثةُ، والذَّبْحُ، والنذرُ، وغيرُ ذلك من أنواعِ العبادةِ التي أَمرَ اللهُ بها كلُّها لله تعالى، والدليلُ قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾[الجن:١٨].

فمَنْ صَرَفَ منها شيئًا لغير الله فهو مشركٌ كافرٌ، والدليلُ قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾[المؤمنون:١١٧].

[الشرح]

هنا أخذ المصنف بعد أن بيّن -رحمه الله- أن الرب الخالق الرازق المالك المتصرف هو وحده المستحق للعبادة أخذ يبيِّن أنواع العبادة.

وقبل أن ندخل في بيان أنواع العبادة فإننا نعرِّف هٰذه العبادة وهي: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال والظاهرة والباطنة. ويمكن أن تختصر في كلمة وهي (امتثال الأوامر واجتناب النواهي) والمقصود لا مشاحة في الاصطلاح فكلّ ما أدى هٰذا المعنى فهو صحح؛ ولكن هٰذه من أدقها (اسم جامع لما يحبه ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة)، وهي مبنية على أصلين:

- إخلاص العمل لله وحده.
- والاقتداء بالنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قولا وعملا واعتقادا.

وهذان الأصلان هما اللذان يسميهما أهل العلم شرطي العمل أو ركني العمل، ولابد من بناء العبادة عليهما، إذا عرفنا أن العبادة اسم جامع لما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، عندها تتحقق العبادة الصحيحة المطلوبة من العبد فعلها، بأن يكون عمله خالصا لله -جل وعلا- وأن يكون عمله متابعا فيه من رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، ولا يجوز بحال من الأحوال أن تبنى العبادة على غير هذين الأصلين، فلو فُقد أحدهما بطلت العبادة.

إذن فالعبادة اسم لكل ما يُتقرب به إلى الله -جل وعلا- بما شرع لنا في كتابه أو في سنة رسوله -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ-.

والعبادة لابد من أن تصرف لله وحده، لابد من أن تؤدى على الوجه الذي يرضي الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- وعلى هدي رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وإذا عرفنا أن العبادة اسم جامع لكل ما يحبه ويرضاه، فإنه يدرج تحت كل أنواع العبادات: من الإسلام، والإيمان، والإحسان، والصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، والذّبح، والنذر، الخشية، والخوف، والمحبة، والاستعانة، والاستعاذة، والاستغاثة، والدعاء، والرجاء، والإنابة.. وما إلى ذلك من أنواع العبادة التي تندرج تحت هذا المعنى، ولابد من أن تُصرف كل هذه الأنواع لله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- كما قال جل وعلا: ﴿**قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣)**﴾[الأنعام:١٦٢-١٣]، وكما قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿**وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا**﴾[الجن:١٨]، وكما قال جل وعلا: ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ**﴾[غافر:٦٠].

ولذلك فإن من صرف شيئا من هذه الأنواع لغير الله كمن ذبح لغير الله، أو نذر لغير الله؛ نذر لميت في قبره، أو دعاه، أو استغاث به، أو طلب منه ما لا يطلب إلا من الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-، فإنه بذلك يكون قد أشرك مع الله إلها آخر لا يقبل الله منه -والحال هذه- صرفا ولا عدلا.

فلذلك لابد من إخلاص جميع أنواع العبادة لله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- ومن لم يفعل ذلك فليس بمؤمن، من ذبح لغير الله، أو نذر لغير الله، أو تعلق بأي مخلوق من دون الله، بأي شكل من أشكال التعلق

هـــٰذا هو الشرك بعينه، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لاَ بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَـــابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (١١٧)﴾[المؤمنون:١١٧]. [1]

[1] انتهى الشريط الثالث

بسم الله الرحمن الرحيم

[المتن]

وأنواعُ العبادةِ التي أَمَرَ اللهُ بها: مثلُ الإسلامِ، والإيمانِ، والإحسانِ؛ ومنهُ الدعاءُ، والخوفُ، والرجاءُ، والتوكلُ، والرغبةُ، والرهبةُ، والخشوعُ، والخَشيةُ، والإنابةُ، والاستعانةُ، والاستعاذةُ، والاستغاثةُ، والذَّبْحُ، والنذرُ، وغيرُ ذلك من أنواع العبادةِ التي أَمرَ اللهُ بها كلُّها لله تعالى، والدليلُ قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾[الجن:١٨].

فمَنْ صَرَفَ منها شيئًا لغيرِ الله فهو مُشرِكٌ كافرٌ، والدليلُ قوله تَعَالىٰ: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾[المؤمنون:١١٧]، وفي الحديثِ «**الدُّعَاءُ مُخُّ العِبَادَةِ**»(١) والدليلُ قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[غافر:٦٠].

[الشرح]

قد بدأنا في الدرس الماضي وبيّنا ما بيّنه المصنف -رحمه الله تعالى- من أنّ العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، وأنها مبينة على أصلين:

- إخلاص العبادة لله وحده.
- والاقتداء بالنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في أقواله وأفعاله وتقريراته، والسير على منهجه القويم.

ثم بيّن -رحمه الله تعالى- بعض أنواع العبادة، وأشار إلى جمعٍ منها وسنتكلم عن أدلة بعضها تفصيلا -إن شاء الله- بعد قليل.

ومما ذكر أنّ العبادة من أهم أنواعها: الدعاء. و«**الدعاء هو العبادة**»(٢) كما جاء ذلك في الحديث الصحيح، وهو أصح من حديث «**الدعاء مخّ العبادة**»؛ بل الحديث الذي ورد بطريق صحيح

---

(١)**سنن الترمذي**: كتاب الدعوات، باب ما جاء في فضل الدعاء، حديث رقم (٣٣٧٠). قال الترمذي: هٰذا حديث غريب من هٰذا الوجه لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة، قال الشيخ الألباني: ضعيف بهـٰذا اللفظ.

(٢) **سنن أبي داوود**: كتاب الصلاة، كتاب الدعاء، حديث رقم (١٤٧٩).

سنن الترمذي: كتاب تفسير القرآن، باب (ومن سورة البقرة)، حديث رقم (٢٩٦٩).

سنن ابن ماجه: كتاب الدعاء، باب فضل الدعاء، حديث رقم (٣٨٢٨).

=

قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الدعاء هو العبادة**»؛ لأنّ الدعاء مرادف لها، وهو على قسمين: دعاء عبادة، ودعاء مسألة.

فدعاء العبادة يندرج تحته كل أنواع العبادة، فهي تندرج تحت هٰذا النوع، فالدعاء بهٰذا الاعتبار مرادف للعبادة، كما قال -سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ-: ﴿**قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلاَ دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا (٧٧)**﴾[الفرقان:٧٧]، فالمقصود بالدعاء هنا العبادة ومنه قول الله عز وجل: ﴿**وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا**﴾[الجن:١٨] أي: فلا تعبدوا مع الله أحدا، والآيات في بيان أن الدعاء مرادف للعبادة كثيرة؛ بل هي أكثر الآيات في القرآن الكريم ﴿**وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لاَ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَومِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ (٥) وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاء وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ (٦)**﴾[الأحقاف:٥-٦].

والثاني دعاء المسألة، وهو سؤال الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ- جلب خيرٍ أو دفع شر، وهٰذا الدّعاء من أخص أنواع العبادة؛ لأنّ المؤمن يلجأ إلى ربه وينطرح بين يديه، ويتضرّع بين يديه، فيسأله قضاء الحاجات وكشف الكربات وإزالة الملمّات، ولذلك فمن صرف الدعاء لغير الله فهو مشرك كافر؛ فمن دعا ميِّتا في قبره، أو صاحب ضريح أو أي مخلوق على وجه الأرض هٰذا هو الشرك بعينه الذي من أجله أنزل الله الكتب، ومن أجله أرسل الله الرسل.

ولذلك -يا عبد الله- فإنَّ الذين يدعون من دون الله أحدا من المقبورين أو الموتى أو أصحاب الأضرحة فإنهم يدعون من لا يستجيب لهم؛ بل ومن لا يملك لهم من دون الله شيئا، يقول الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ-: ﴿**وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ (١٣) إِن تَدْعُوهُمْ لاَ يَسْمَعُوا دُعَاءكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلاَ يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ (١٤)**﴾[فاطر:١٣-١٤]، فقد بيّن الله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- هنا أربعة أمور:

الأمر الأول أنهم لا يملكون من دون الله شيئا، وقد عبر عن ذلك بشيء من المحقّرات عند الناس وهو (القطمير) وهي اللفافة البيضاء التي تحيط بنوى التمر، وهناك (النقير) وهي الحفرة في نوى التمر، و(الفتيل) وهو الحبل الصغير الذي يوجد في شرخة نواة التمر، وكلها قد نفى الله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- أن يملكها أحد من دونه، فمن دعا أحدا من دون الله حتى ولو دعا الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أو

=

قال الشيخ الألباني: صحيح.

دعا أحدا من الصحابة، أو دعا أحدا من الأولياء، وقال: مدد يا فلان، أو أغثني يا فلان، أو أنقذني يا فلان، أو الشفاعة يا فلان، فهـٰذا هو الشرك بعينه الذي لا يغفره الله لمن مات عليه، ولذلك نفى عنهم أن يملكوا من دون الله شيئا فقال أولا: ﴿مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾، واجتماع النفي مع (مِن) المؤكدة مع تنكير (القطمير) تؤكد أنهم لا يملكون شيئا أيا كان، مهما كان حجمه؛ لأن فاقد الشيء لا يعطيه، فلله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- أزمة الأمور، وهو المالك لكل شيء -سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ-.

الأمر الثاني: نفى عنهم أنهم يسمعون الدعاء، بعد أن نفى عنهم أنهم لا يملكون من دون الله شيئا سواء كانوا أشجارا أو أحجارا أو موتى في قبورهم أو من يسمونهم أولياء.. وما إلى ذلك أنهم لا يسمعون دعاء من دعاهم، فلو دعوت ميتا في قبره باسم أنه ولي؛ والله لو تدعوه من هنا إلى يوم القيامة لا يسمعك، ولا ينفعك، ولا يضرك؛ بل يضر بك باتباعه والإشراك به، فلذلك نفى الله عنهم أنهم يسمعون دعاء من دعاهم؛ بل الذي ورد هو السلام عن الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ولم يرد لفظ السماع فلا نتوسع فيه؛ لأنه أمر غيبي لا يطّلع عليه إلا الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ-، وقد جاء وثبت عن الموتى سماع أمرين:

الحال الأولى: سماع أهل القليب الذين ألقاهم النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في قليب بدر، فنادهم: "**يا فلان، يا فلان، هل وجدتم ما وعد ربكم؟**" قال عمر: يا رسول الله وقد جيّفوا؟ وفي رواية أرموا -يعني بليت عظامهم وتعفنوا-، قال: "**لستم بأسمع منهم**". [1]

الحال الثانية: ما ثبت عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من أن الميت يسمع قرع نعال أهله، ولعل هـٰذا بعد أن تعاد إليه الروح عند سؤال الملكين.

نتوقف عند هذين الأمرين، وما عداهما لا ننفي السمع ولا نثبته، إلا أنه لو قدر أن هناك سماعا فإنه ليس سماعا ينفعك أو ينفع أحدا يدعوهم من دون الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ-، فالله -عز وجل- قد نفى أنهم يسمعون الدعاء، بعد أن نفى عنهم أنهم يملكون من دون الله شيئا.

فأولا نفى كونهم يملكون من دون الله شيئا.

وثانيا نفى عنهم سماع دعاء من يدعوهم.

---

[1] **مسلم**: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، حديث رقم (٢٨٧٤).

الأمر الثالث: لو قُدِّر أنهم سمعوا الدعاء -على سبيل الافتراض والتقدير- فإنهم غير قادرين على الإجابة؛ لأن الإجابة لا يملكها إلا الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- وأما الأصنام والأوثان والأحجار والأشجار وأصحاب الأضرحة والقبور فإنهم لا يملكون شيئا، فكيف يُطلب من شخص لا يملك لنفسه كيف يملك لغيره ما دام هو مرتهن في حفرته لا ندري أهو في روضة من رياض الجنة أم في حفرة من حفر النار، اللهم إلا من جزم لهم الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وبشرهم بالجنة كالخلفاء الراشدين والعشرة المبشرين بالجنة وبلال بن رباح وعبد الله بن مسعود وعكّاشة بن محصن.. وغيرهم ممن بشرهم النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بالجنة وهم أحياء.

لذلك فإن من يُدعى فإنه مع كونه لا يسمع فإنه غير قادر على إجابة دعاء من دعاه، ﴿**وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ**﴾

الأمر الرابع: أنهم يتبرؤون ممن يدعوهم يوم القيامة، يتبرؤون منهم ويقولون: ربنا ما كانوا إيانا يعبدون. يتبرؤون منهم يخاصمونهم إلى الله يوم القيامة، يقول الله تعالى: ﴿**احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ (٢٢) مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ (٢٣)**﴾[الصافات:٢٢-٢٣]، والعياذ بالله، عندها يتبرأ المعبود من العابد؛ فإن كان صالحا تبرأ وذهب في سبيله في الجنة، وإن كان طالحا حشر معه ولا تنفعه براءته، كما قال الله عز وجل: ﴿**قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ (٤٨)**﴾[غافر:٤٨]، أما الصالحون فإنهم يتبرؤون كما يتبرأ الأنبياء ممن يعبدهم؛ فيتبرأ المسيح من عبادة النصارى، وعزير من عبادة اليهود، ونبينا محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من يدعوه ويرجوه أو يسأله قضاء الحاجات وكشف الكربات، كلهم يتبرؤون ممن يعبدهم أو يتعلق بهم أو يسألهم شيئا مما لا يقدر عليه إلا الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-.

إذن أولا نفى عنهم أنهم يملكون من دون الله شيئا.

وثانيا نفى سماعهم للدعاء.

وثالثا على سبيل افتراض؛ حتى ولو أنهم سمعوا فإنهم غير قادرين على الإجابة.

ورابعا فإنهم يتبرؤون منهم يوم القيامة.

[المتن]

ودليلُ الخوفِ قوله تعالى: ﴿فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِي إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[آل عمران:١٨٥].

ودليلُ الرَّجاءِ قوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ

رَبِّهِ أَحَدًا﴾[الكهف:١١٠].

[الشرح]

الخوف أقسام:

فهناك الخوف الطبيعي كمن يخاف من ترصّد عدو، أو من حيوان مفترس، أو نحو ذلك. وهـٰذا الخوف أمر طبيعي؛ بل حتى الأنبياء حصل منهم هـٰذا الخوف، فالله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ- حكى عن موسى -عليه السلام- ما حكى وما بيّن في قول الله تعالى: ﴿فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ (١٤)﴾[الشعراء:١٤]، ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾[القصص:٢١]، فهـٰذا خوف طبيعي يقع فيه أو قد يحصل لأي بشر على وجه الأرض، ولو كان نبيًّا من الأنبياء، وإن كان الله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- قد عصم أنبياءه ممن كتب لهم أنهم يستمرون حتى يبلغوا رسالات ربهم، إلا من استشهد منهم مثل زكريا ويحيى -عليهما السلام-؛ بل والنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مات شهيدا حيث إنه مات وهو يعاني من السّم الذي دسته له اليهودية بنت أبي الحقيق -لعنها الله- دسته له في لحمة الذراع؛ لكن الله عصمه حتى بلّغ رسالته ثم مات شهيدا بسبب ذلك.

والمهم أن نعلم أن الخوف الطبيعي أمر طبيعي لا يؤاخذ به العبد.

ولكن هناك نوع من الخوف يسمى خوف السر، وهو أن يخاف من الأصنام والأوثان والجن وأصحاب الأضرحة أن يصيبوه بسوء إن هو خالف ما يعتقده العامة بشأن هؤلاء من التعلق بهم والذبح لهم والنذر لهم ونحو ذلك، فلذلك فإنّ مثل هـٰذا النوع من الخوف هو الذي قد يقع فيه الشرك، ولذلك يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١٧٥)﴾[آل عمران:١٧٥].

والمقصود خوف السر كمن يخاف من الأصنام أن تنتقم منه أو أن تفعل شيئا، أو يخاف ممن يسمونهم بالأولياء أن ينتقموا منهم فورا.

وممن منّ الله عليهم بالهداية من عبادة القبور إلى عبادة العزيز الغفور قال لي: إنه عندما كان متعلقا بأصحاب الأضرحة والأولياء، يقول: كان يخاف منها أكثر من خوفه من الله. والشيطان غرس في نفسه شيئا وهو أن الله -جل وعلا- حتى ولو خافوه إنه غفور رحيم ويغفر ويحلم على عباده؛ لكن هـٰذا الشيخ المقدس والولي الذي يُعبد من دون الله على حد بزعمهم يعتقدون أنه لا يرحم وإنما ينتقم فورا، أرأيتم كيف زين الشيطان لهم أعمالهم، فلذلك فإنه يقول: كانوا إذا سرق فيهم اللص ما

يأتون به إلى المحكمة ويقسم على المصحف كما تعود الناس؛ لأن بالمصحف فيه رهبة فبعض الناس يرجع إن كان كاذبا هيبة من المصحف؛ لكن يقول: كنا مستعدون أن نقسم أيمانا مغلظة على هذا المصحف، ولا نبالي ولو كانوا من السُّرّاق أو اللصوص؛ ولكن إذا أرادوا أن يعترف ذهبوا به إلى مقصورة الشيخ أو الولي الذي يُعبد من دون الله ممن يُنذر له، أو يذبح له، أو يدعى عند الشدائد وغير الشدائد، أو يطاف به، ونحو ذلك، فيأتون به عنده عند ذلك لا يحلف لاعتقاده أن الشيخ ينتقم انتقاما سريعا ولا يمهل، ولذلك يسير على هذا الأمر ويستمر -والعياذ بالله- فيعترف بخوفه من هذا الولي المزعوم أكثر من خوفه من الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-.

هذا هو خوف السر الذي هو نوع من أنواع الشرك بالله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-، فلذلك حذر الله من ذلك بقوله: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١٧٥)﴾[آل عمران:١٧٥].

وأما **الرجاء** فهو الطمع فيما عند الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- وحسن الأمل وحسن الظن بالله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- قال الله جل وعلا: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (١١٠)﴾[الكهف:١١٠]، فإن الرجاء مقابل الخوف.

وينبغي أن يكون المسلم بينهما بمثابة جناحي الطائر فلا يغلب الخوف على الرجاء حتى لا ييأس أحد من رحمة الله، ولا الرجاء على الخوف حتى لا يأمن أحد من مكر الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-؛ بل قد نص العلماء أنه ينبغي له أن يغلب جانب الخوف حال الصحة حتى لا يأمن من مكر الله، وأن يغلب الرجاء حالة المرض حتى لا يقنط؛ بل إن الخوف والرجاء والمحبة هذه الأمور الثلاثة هي أركان العبادات القلبية بمعنى أنه لا تصح العبادات إلا بتلازم هذه الثلاثة، أن تحب الله وتخافه وترجوه.

فلابد من الجمع بينها -بين الخوف والرجاء والمحبة-؛ لأنها أركان العبادة القلبية، فلابد من تلازم هذه الأمور الثلاثة في قلب كل عبد مؤمن حتى يكون سائرا على هدي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

[المتن]

ودليلُ التَّوكُّلِ قوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[المائدة:٢٣]، وقوله: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾[الطلاق:٣].

[الشرح]

التوكل هو تفويض الأمر إلى الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ- مع الأخذ بالأسباب المشروعة، التوكل هو الاعتماد على الله جل وعلا، وتفويض الأمور إليه، فلابد من الاعتماد عليه وحده، وتفويض جميع الأمور إليه. وهٰذا لا يعني التخلي عن الأسباب المشروعة؛ بل إن من يزعم أنه متوكل ويتخلى عن الأسباب المشروعة فهو متواكل وليس بمتوكل؛ ولذلك يقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا**» [1] ومعلوم أن هٰذه الطيور لم تقبع في أعشاشها وإنما تسمعها قبيل تباشير الصباح تبحث عن قوتها وقوت ولدها وربما لا تعود إلا في آخر لحظة من النهار، وقد ملأت حواصلها وجاءت بشيء لأولادها، وما قبعت في بيوتها، ولذلك هٰذه حقيقة التوكل وهي الاعتماد على الله تعالى مع الأخذ بالأسباب المشروعة، واستدل بالآية ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[المائدة:٢٣]، وفي الآية الأخرى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾[الطلاق:٣]، وفي آية ثالثة: ﴿عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ (٣٨)﴾[الزمر:٣٨]، فانتبهوا يا إخواني إلى حقيقة التوكل ومعناه.

[المتن]

ودليلُ الرَّغْبَةِ والرَّهبَةِ والخُشوعِ قولُه تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾[الأنبياء:٩٠].

[الشرح]

الرغبة والرهبة ما الفرق بينهما؟

الرغبة طلب ما عند الله -جل وعلا- طمعا في ثوابه.

والرهبة شدة الخوف من الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ- وخشيته في السر والعلانية.

---

(١) **سنن الترمذي**: كتاب الزهد، باب في التول على الله، حديث رقم (٢٣٤٤). قال الترمذي: هٰذا حديث صحيح لا نعرفه إلا من هٰذا الوجه.

سنن ابن ماجه: كتاب الزهد، باب التوكل واليقين، حديث رقم (٤١٦٤).

ورواه الحاكم في المستدرك وقال: صحيح الإسناد، وأقره الذهبي. وقال الشيخ الألباني (الصحيحة ٣١٠): بل هو صحيح على شرط مسلم.

فهــٰذه الرغبة والرهبة يعني أن يسير بينهما المسلم ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ وهــٰذا الموضوع وهو الخوف والرجاء والرغبة والرهبة لابد أن يكون المسلم بينها كما قال الله جل وعلا: ﴿أُولَـئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا (٥٧)﴾[الإسراء:٥٧]، وقول الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاء اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾[الزمر:٠٩]، ما دام الأمر كذلك ما رأيكم فيمن يزعم أنه يعبد الله حبا له فقط لا طمعا في ثوابه ولا خوفا من عقابه؟ ما حكم هــٰذا القول؟ هــٰذا القول إلحاد؛ لأن:

من عبد الله بالخوف وحده هو حروري خارجي.

ومن عبد الله بالرجاء وحده مرجئ إباحي.

ومن عبد الله بالحب وحده المزعوم -حتى شبه الله بتتيم الشعراء في محبوباتهم- فهو زنديق -أي منحل من الدين-؛ لأن هــٰذا تحول عندهم إلى أن يصل بهم إلى وحدة الوجود تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا.

فلذلك فإن على المسلم أن يعبد الله خوفا وطمعا، رغبة ورهبة، خوفا ورجاء، ومن هنا قال أهل العلم: إنه لابد من الجمع من الأمور الثلاثة حتى تتم العبادة القلبية، وهي الخوف والرجاء والمحبة.

[المتن]

ودليلُ الخَشيةِ قوله تعالى: ﴿فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾[البقرة:١٥٠].

ودليل الإنابةِ قوله تعالى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾[الزمر:٥٤].

[الشرح]

الخشية هي شدة الخوف من الله؛ بل هي أدق من الخوف، ولذلك يقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[فاطر:٢٨]، أي الذين يخشون الله حق الخشية هم العلماء العاملون بعلمهم، العلماء العاملون بعلمهم هؤلاء هم الذين يعتبرون ممن يخشى الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- فلذلك قال الله جل وعلا: ﴿فَلاَ تَخْشَوُاْ النَّاسَ وَاخْشَوْنِ﴾[المائدة:٤٤]، وقال تعالى: ﴿فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾ هــٰذا ما يتعلق بالخشية، وهي شدة الخوف، فلابد من هــٰذا فإنه أمر عظيم، ويكون المسلم خائفا من ربه كل الخوف دائما -كما بينا- مع الرجاء ومع محبة الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-.

أما **الإنابة** فهي الإخلاص لله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- وابتغاء وجهه والوقوف عند حدوده خوفا من الرب -جل وعلا- ولذلك يقول الرب عز وجل: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾.

[المتن]

ودليل الاستعانةِ قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[الفاتحة:٥]، **وفي الحديثِ: «إِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ».**(١)

ودليل الاستعاذةِ قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾[الفلق:١]، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾[الناس:١].

ودليل الاستغاثةِ قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾[الأنفال:٩].

[الشرح]

هٰذه مجموعة من العبادات ومنها:

الاستعانة وهي طلب العون ممن يقدر عليه، فإن كان طلبه ممن يقدر عليه في حدود إمكاناته هٰذا أمر مشروع.

وإن كان يستعين بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-، فهٰذا هو الشرك بعينه.

ودليل وجوب الاستعانة بالله قول الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وهٰذه كما تعلمون مقسومة بين العبد وبين ربه، فإحداهما للرب وإحداهما للعبد، وقد وعد الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- الذاكرين بأنّ لهم ما سألوا، وأن لعبده -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- ما يشاء، ومن ذلك ومما يدل على وجوب الاستعانة بالله قول النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لعبد الله بن عباس: «**إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا لأمر قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بأمر قد كتبه الله عليك**» ولذلك قال الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لابن عباس: «**إذا استعنت فاستعن بالله**» ولا تستعن بغير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

أيضا **الاستعاذة** هي اللجوء إلى الله والاعتصام به كما قال الله -جل وعلا-: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾[الفلق:١]، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾[الناس:١]. وأعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ﴿وَقُل رَّبِّ

---

(١) سنن الترمذي: كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب رقم (٥٩)، حديث رقم (٢٥١٦). قال الترمذي: هٰذا حديث حسن صحيح. قال الشيخ الألباني: صحيح.

أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ (٩٧)﴾[المؤمنون:٩٧]. فالمقصود اللجوء إلى الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-. والعوذ من: عاذ ويعوذ أي: اعتصم ولجأ بالله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- في كل أموره.

وكذلك **الاستغاثة** وهي نوع من الدعاء، غير أن الدعاء يشمل طلب الخير أو دفع الشر، أما الاستغاثة فهي الاستنجاد لطلب دفع البلاء والشر، وهو على ضربين: استغاثة جائزة، واستغاثة لا تجوز إلا بالله.

بالنسبة للأمور التي يقدر عليها المخلوق يمكن للمسلم أن يستغيث بغير الله فيها، ويطلب منه العون والنجدة.

وبالنسبة ما لا يقدر عليه إلا الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-فلا يجوز صرفه لغير الله جل وعلا، ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ (٩)﴾[الأنفال:٠٩]، فالاستغاثة خطيرة، وبأكثر ما يقع فيها الناس، فيقولون: أغثني يا شيخ فلان، أو: أنا بجاهك، أو: أنا بكنفك أو أنا في حماك -والعياذ بالله- أو نحو ذلك من الألفاظ الشركية التي تسمع هنا وهناك من كثير من الناس.

[المتن]

ودليل الذَّبْحِ قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾[الأنعام:١٦٢-١٦٣]، ومِنَ السُّنَّةِ: «لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ».(١)

ودليلُ النَّذْرِ قوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾[الإنسان:٧].

[الشرح]

الذبح هو أن يقدِّم المسلم قربانا لوجه الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- من بهيمة الأنعام مثل نحر الإبل وذبح البقر والغنم، وتوزيع ذلك على الفقراء والمحتاجين، وهو نوع من أنواع العبادة التي يجب صرفها لله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- ولذلك يقول الله جل وعلا: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ النسك هو الذبح، وهو قد يشمل جميع العبادات ومنه قول الله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (٢)﴾[الكوثر:٠٢] أي: انحر الإبل، فمن ذبح لغير الله فقد كفر وأشرك، حتى ولو زعم أن ذلك الولي فقط يوصل الذبح لله - سُبْحَانَهُ

(١) مسلم: كتاب الأضاحي، باب تحريم الذبح لغير الله تَعَالَىٰ ولعن فاعله، حديث رقم (١٩٧٨).

وَتَعَالَىٰ- أو يقربه إلى الله زلفى، قال له: فإن من تعلق أو ذبح لأجل مخلوق هـٰذا الذي يفعله المشركون قديما حيث حكى الله عنهم ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾[الزمر:٠٣]، والمقصود أنهم يتخذونهم شفعاء ووسطاء بينهم وبين الله، وليس المقصود أنهم كانوا يقصدون عبادتهم مباشرة أو التعلق بهم أو اعتقاد أنهم يخلقون أو يرزقون أو يمنعون أبدا، إنما المقصود أنهم يقربونهم إلى الله.

وهـٰذا شأن من يذبحون الآن لأصحاب المقابر والأضرحة، ويأتون بالْخِرَاف الكبار ويذبحونها عند أعتابها، وربما تمسحوا بدمائها، وربما تعلقوا بها من دون الله كمن يذبح للجن أو يذبح للأصنام وما إلى ذلك، فلابد من إخلاص العمل حتى في الذبح، فإنّ الذبح من أعظم أنواع القرب التي يتقرب بها إلى الله – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- ولذلك جاء في الحديث الصحيح عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ**». واللعن هو الطرد والإبعاد من رحمة الله، وهـٰذا ضمن حديث يرويه علي بن أبي طالب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال علي -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: حدثني رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بأربع كلمات "**لعن الله من ذبح لغير الله، لعن الله من لعن والديه، لعن الله من آوى محدثا، لعن الله من غير منار الأرض**".

ولعن من ذبح لغير الله أمر واضح كل من تقرب إلى غير الله -جل وعلا- فهو مستحق للعن والطرد والإبعاد من رحمة الله.

والمقصود بمن لعن والديه سواء لعنهما مباشرة، أو كان سببا في لعنهما، في أن يسب أباه ويسب أمه، ولذلك لما قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "**إن من أكبر الكبائر أن يسب الرجل والديه**" قيل وكيف يسب والديه؟ قال: "**يسب الرجل أبا الرجل فيسبّ أباه ويسب أمه فيسب أمه**"[1] العياذ بالله، وهـٰذا كله محرم.

"**لعن الله من آوى محدثا**" الذي يأوي المجرمين والعصاة من أخذ الحق منهم أو يأوي المبتدعة ويأويهم وينصرهم، هـٰذا مستحق اللعنة على لسان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكل من آوى محدثا..[2]

---

[1] **البخاري**: كتاب الأدب، باب لا يسب الرجل والديه، حديث رقم (٥٩٧٣).

مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، حديث رقم (٩٠).

[2] انتهى الشريط الرابع.

بسم الله الرحمن الرحيم

[المتن]

الأصلُ الثَّاني: معرفةُ دين الإسلامِ بالأدلةِ، وهو الاستسلامُ للهِ بالتوحيدِ، والانقيادِ له بالطاعةِ، والبراءة مِنَ الشِّركِ وأهلِهِ؛ وهو ثلاثُ مراتبَ: الإسلامُ، والإيمانُ، والإحسانُ، وكلُّ مرتبةٍ لها أركانٌ.

[الشرح]

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد؛

فإنّا قد انتهينا من الأصل الأول في هذا الكتاب القيم؛ وهو العلم بالله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- وما يتعلّق به من مسائل أساسها إفراد الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- بالعبادة.

ثم شرع المصنِّف -رحمه الله- في الأصل الثاني وهو معرفة دين الإسلام بالأدلة؛ أي معرفة مسائل الدين الذي لا يقبل الله دينا سواه بأدلته من كتاب الله -تعالى- وسنة رسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- والعلم بالمسائل الشرعية خاصة ما لابد منه بأن يتفقه المسلم في دين الله، أقل ما يمكن أن يعلم بأحكام التي تجعله يؤدي عبادته أداءً صحيحا، فهذا فرض عيني أن يقوم أو أن يتفقه في دين الله على الأقل بالقدر الذي تصح به عبادته؛ فيعرف التوحيد من الشرك، والحلال من الحرام، والسنة من البدعة، والخبيث من الطيب، والدين المقصود هنا هو دين الإسلام الذي لا يقبل الله من أحد دينا سواه، كما قال الله جل وعلا: ﴿**وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٨٥)**﴾[آل عمران:٨٥].

والإسلام معناه (**الاستسلامُ للهِ بالتوحيدِ، والانقيادِ له بالطاعةِ، والبراءة مِنَ الشِّركِ وأهلِهِ**).

والمقصود أن ينقاد المرء لتوحيد الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- فيخلص له العبادة، ويتبع هدي رسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، ثم يمتثل أوامره ويجتنب نواهيه، وهو المقصود بقوله: (**والانقيادِ له بالطاعةِ**) ولا يصح هذا إلا من خلص من الشرك فتبرأ منه ومن أهله؛ خفيه وجليه، أصغره وأكبره؛ لأنه لا إسلام إلا بولاء وبراء؛ ولاء لله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- وإفراده -جل وعلا- بالعبادة، وتبرؤ من المشركين ومعبوداتهم، وهذا معنى قول الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿**فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٥٦)**﴾[البقرة:٢٥٦].

والدين على (**ثلاث مراتبَ: الإسلام، والإيمان، والإحسان**) كما ثبت ذلك في الصحيح من حديث عمر بن الخطاب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- الذي سيأتي تفصيله -إن شاء الله تعالى- وكل مرتبة لها أركان وبعضها أخص من بعض، فالإحسان أخص من الإيمان من جهة أهله، أخص من جهة أهله وأعم من جهة نفسه، والإيمان أخص من الإسلام من جهة نفسه وأعم من جهة أهله، فدرجة المحسن فوق درجة المؤمن، ودرجة المؤمن فوق درجة المسلم، هذا عند الاجتماع، أما عند الافتراق فإن كلا من الإسلام والإيمان يدخل أحدهما في الآخر كما سنفصله إن شاء الله.

[الشرح]

فأركانُ الإسلامِ خمسةٌ: شهادةُ أنْ لا إلـه إلاّ اللهُ، وأنَّ محمدًا رسولُ اللهِ، وإقامُ الصلاةِ، وإيتاءُ الزكاةِ، وصومُ رمضانَ، وحجُّ بيتِ اللهِ الحرامِ.

فدليلُ الشّهادةِ قولُهُ تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[آل عمران:١٨]، ومعناها لا معبودَ بحقٍّ إلا اللهُ وحده؛ (لا إلـه) نافيًا جميعَ مَا يُعْبدُ مِنْ دونِ اللهِ، (إلا الله) مُثْبتًا العبادةَ للهِ وحدَهُ لا شريكَ لهُ في عبادتِهِ، كما أنَّه ليس له شريك في مُلْكِهِ، وتفسيرُها الذي يوضِّحُها قولُه تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ (٢٧) وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[الزخرف:٢٦-٢٨]، وقولُه تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[آل عمران:٢٦].

[الشرح]

شرع المصنف -رحمه الله- في بيان المراتب الثلاثة: الإسلام والإيمان والإحسان وفق ترتيبها في حديث عمر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- حيث قال: (**بينما نحن جُلوسٌ عند رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذات يوم، إذا طلع علينا رجلٌ شديدٌ بياضِ الثياب، شديد سوادِ الشَّعر، لا يُرى عليه أثَرُ السَّفر، ولا يعرفه مِنَّا أحد، حتّى جلس إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فاسند رُكبَتَيْه إلى رُكبَتَيْه، ووضع كَفَّيْه على فخذيه، وقال: يا مُحَمَّدُ؛ أَخْبِرْنِي عَنِ الإسلام.**) وهذا هو جبريل كما سيأتي في نهاية الحديث (**فقال رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الإِسْلاَمُ أن تَشْهَدَ أَن لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَلاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ**

سَبِيلا»، قال: صَدَقْتَ. قال: فعجبنا له: يسأله ويُصَدِّقُه! قال: فأخبرني عن الإيمان؟ قال: «أنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ من الله تعالى»، قال: صدقت. قال: فأخبرني عن الإحسان؟ قال: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّك تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ». قال: صدقت. قال: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعة؟ قال: «مَا المَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ». قال: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا؟ قال: «أَنْ تَلِدَ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ». ثُمّ انْطَلَق. فَلَبِثتُ مَلِيا، ثمّ قال: «يَا عُمَرُ، أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟» قلت: الله ورسوله أعلَم، قال: «فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ، أَتَاكُمْ يُعَلِمُكُمْ دِينَكُمْ»)[1].

فأولها الإسلام، والإسلام عند الإطلاق يشمل الأعمال الظاهرة والباطنة إذا كان منفردا، أما عندما يذكر مقرونا بالإيمان فيكون الإسلام يطلق على الأعمال الظاهرة، والإيمان يطلق على الأعمال الباطنة التي لا يعلمها إلا الله كأركان الإيمان الستة.

قد بين في هذا الحديث أولا أركان الإسلام الخمسة وهي: الشهادتان وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج بيت الله الحرام، ثم أخذ يعرف بكل واحد على حدا، ويبين دليله، فالشهادتان هما التوحيد **شهادة أن لا إله إلا الله** وأن محمدا رسول الله، وهو أول واجب على المكلف، ولا يجوز أن نبدأ بغيره؛ بل هو الأساس الذي تبنى عليه سائر الأعمال، فإذا لم يصح تحقيق الشهادتين (شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله) فإنه لا قيمة للإسلام أصلا إذا لم يبن على هذا الأساس؛ لأن هذا هو مدخل التوحيد وأساسه الذي لا يصح بدون تحقيقه.

(فدليلُ الشّهادةِ قولُهُ تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[آل عمران:١٨]،) وقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾[محمد:١٩]، وقوله -سُبْحَانَهُ-: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾[البقرة:٢٥٦]. وقوله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِلاَ مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٨٦)﴾[الزخرف:٨٦]، لابد مع النطق بهذه الشهادة من الإخلاص واليقين أنّ هذا هو التوحيد.

ومعنى لا إله إلا الله لا معبود بحق إلا الله؛ لأن المعبودات كثيرة؛ لكن منها ما يُعبد بحق، ومنها ما يعبد بباطل، ولذلك يقول -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- حكاية عن نبي الله إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ

---

[1] مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان.. حديث رقم (٠٨).

إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ (٢٧) وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[الزخرف:٢٦-٢٨]، فلابد من تحقيق الشهادة، وفهم معناها، والعمل بمقتضاها، مع العلم بأنها ليست كلاما يؤدى باللسان فحسب، وإنما لابد من تحقيقها، ولابد من مراعاة العمل بمعناها وفهم مقتضاها.

ولذلك فإنّ كثيرا من الناس يجهل معناها، فبعض الناس لو سألته: ما معنى لا إله إلا الله؟ يقول: لا موجود إلا الله، أو لا رب إلا الله. فهل هذا المعنى صحيح ، أنه لا موجود إلا الله؟ هذا غير صحيح، بل أنت موجود، والقمر موجود، والشمس موجودة، والجبال موجودة، والسموات والأرض موجودة، فالقضية ليست قضية وجود، وإن كان وجود الله تعالى يختلف عن وجود المخلوقين، ووجوده بلا انتهاء هو الأول ليس قبله شيء، وهو الآخر ليس بعده شيء؛ لكن لا يجوز بحال أن يكون هذا المعنى؛ لأن معنى ذلك أن كل موجود هو الله -تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا-، وقصره على أنه لا رب إلا الله قصر على بعض أفراد التوحيد، والتوحيد يشمل الألوهية والربوبية والأسماء والصفات، لذلك فإنه ينبغي أن نفهم ذلك جيدا حتى نحقق التوحيد على الوجه الذي يرضي الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- .

[المتن]

ودليلُ شهادةِ أنَّ محمدًا رسولُ اللهِ قولهُ تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[التوبة:١٢٨]، ومعنى شهادةِ أنَّ محمدًا رسولُ اللهِ: طاعتُهُ فيما أَمَرَ، وتصديقُهُ فيما أَخْبَرَ، واجتنابُ ما عنْهُ نهى وزَجَرَ، وأنْ لا يُعبدَ اللهُ إلاَّ بما شَرَعَ.

[الشرح]

انتقل الآن إلى شرح معنى **شهادة أن محمدا رسول الله**، التي هي جزء شهادتي التوحيد المتوقف بعضها على بعض، فإن شهادة أن لا إله إلا الله لا تقبل بدون شهادة أن محمدا رسول الله عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

فلابد أن ننطق بالشهادتين معا مع العلم بمعناهما والعمل بمقتضاهما، ودليل وجوب الإيمان بالرسالة قول الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[التوبة:١٢٨]، وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ

﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (٢١)﴾[الأحزاب:٢١]، ولذلك فإن معناها هو أن نطيعه فيما أمر به وأن نصدقه فيما أخبر به، وأن لا نعبد الله إلا وفق شرعه القويم، وأن نجتنب كل ما نهى عنه وزجر أو حذر منه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

وخلاصة القول في أمر النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنه ليس للإنسان إلا الامتثال، وليس له خيار في أن يفعل أو يترك كما قال -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[الأحزاب:٣٦]، وقوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾[النور:٥١]، هذه معنى شهادة أن محمدا رسول الله، لا تصح إلا بتحقيق ذلك، كما قال الله جل وعلا: ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا (٦٥)﴾[النساء:٦٥]، يعني لابد لتكون صحيحا أن تفهم هذه الأمور.

[المتن]

ودليلُ الصلاةِ، والزكاةِ، وتفسيرُ التَّوحيدِ قولُه تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾[البينة:٥].

ودليلُ الصيامِ قولُه تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[البقرة:١٨٣].

ودليلُ الحجِّ قولُه تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾[آل عمران:٩٧].

[الشرح]

هذه بقية الأركان الصلاة والزكاة والصوم والحج التي هي أساس الدين بعد الشهادتين، وأولها أول الأركان الأربعة التي بعد الشهادتين هي الصلاة التي هي عمود الإسلام كما أخبر النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- والتي هي أول ما يسأل عنه العبد من الأعمال، فإذا قبلت قبل سائر عمله، وإن ردت رد سائر عمله.

والمقصود أن **الصلاة** التي يتهاون بها كثير من الناس؛ هي أعظم الأركان بعد الشهادتين، وكانوا لا يرون من الأعمال تركه كفر ينقل عن الملة إلا الصلاة، فإنه لا حظ في الإسلام لمن تركها ولو كان تركها تهاونا، أما تركه جاحدا فهذا كافر إجماعا، فترك الصلاة كفر على الصحيح ولو كان ذلك

تهاونا، ولذلك من عِظَمها أنه شرعت لها الجماعة، وأن بعض المعذورين لن يعذروا في أن يصلوا في بيوتهم، كما شرع أداؤها جماعة حتى في حال القتال والمسايفة بين المسلمين والكفار.

وكذلك أتى بعد ذلك **بالزكاة** التي هي أخت الصلاة، وكثيرا ما ذكرت الصلاة والزكاة في مقام واحد، كما قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ﴾ وكما في قوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾[البينة:٥]، وذكر بعض أهل العلم أن الصلاة أخت الزكاة فمن صلى و لم يزك :فكأنه لم يصل، ومن زكى و لم يصل فكأنه لم يزك، ولذلك كثيرا ما تذكر مع توحيد الله –سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ– ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ﴾[التوبة:٥]، ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾[التوبة:١١].

والرابع الذي هو **الصوم** وهو إمساك النفس عن المفطرات مدة شهر رمضان المبارك، كما قال –تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ–: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[البقرة:١٨٣]، ثم قال في الآية التي بعدها: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾[البقرة:١٨٥]

ثم الركن الخامس وهو **الحج**، ودليل فرضيته قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ: ﴿وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (٩٧)﴾[آل عمران:٩٧]، وقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أيها الناس إنّ الله فرض عليكم الحج فحجوا**».[1]

[المتن]

مرتبةُ الإيمانِ: الإيمانُ، وهو بضعٌ وسبعونَ شعبَة، فأعلاها قولُ لا إلـٰه إلاّ الله، وأدْناها إماطةُ الأذَى عنِ الطريقِ، والحياءُ شعبةٌ مِنَ الإيمانِ، وأركانُهُ ستَّة: أنْ تؤمنَ بالله، وملائكَتِـهِ، وكتبِـهِ، ورُسُلِهِ، واليومِ الآخرِ، وبالقَدَرِ خيرِهِ وشرِّهِ، والدليلُ على هٰذه الأركانِ الستَّةِ قولُه تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾[البقرة:١٧٧]، ودليلُ القَدَرِ قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[القمر:٤٩].

---

[1] مسلم: كتاب الحج، باب فرض الحج في العمر مرة، حديث رقم (١٣٣٧).

[الشرح]

ثم بين المرتبة الثانية وهي الإيمان، والإيمان في اللغة أدق ما يعبر به أن يقال: إنه الإقرار المتضمن للتصديق والعمل. هـٰذا هو معناه اللغوي، ولا يصح قصر معناه اللغوي على الصديق؛ لأنه يفارق التصديق من وجوه كثيرة فمنها أن لفظ (آمن) يعدّى باللام أو يعدى بالباء بخلاف (صدق) فإنه يعدى مباشرة بدون واسطة؛ ولذلك فإن (آمن) التي منها الإيمان الذي أصبح حقيقة شرعية المقصود به أقر، ولذلك يقال: آمن له وآمن به يقال: آمن له في حق المخبر، ويقال: آمن به في حق المخبر به.

وأيضا فإن الإيمان مقابل بالكفر، والتصديق مقابل بالتكذيب، والكفر أعمّ من مجرد التكذيب، فالإيمان أعم من مجرد التصديق.

وأيضا الإيمان يعبر به عن المسائل الغيبية، بخلاف التصديق يعبر به في الأمور في المسائل المشاهدة، وهكذا في الفروق بين المعاني اللغوية المعروفة.

أما معناه شرعا واصطلاحا فقد عرّفه أهل السنة والجماعة بأنه: قول باللسان وتصديق وبالجنان يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان.

أو يعبّر بعضهم بقولهم: قول باللسان وتصديق بالقلب وعمل بالجوارح.

والمعنى واحد لا يختلف عند أهل السنة والجماعة، والذي عليه أهل السنة أنه لابد أن يشمل هـٰذه الأمور الثلاثة: القول والعمل والاعتقاد.

وهناك أقاويل أخرى لا نرى ضرورةً للتوسع فيها، وإنما يكفي أن نؤصل فنعرف منهج أهل السنة والجماعة في ذلك، وهو أن الإيمان قول باللسان وتصديق بالقلب وعمل بالجوارح، كما يؤمن أهل السنة والجماعة أنه يزيد ونقص يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، كما قال اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ: ﴿**لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ**﴾[الفتح:٠٤]، وقول اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ: ﴿**وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ (١٧)**﴾[محمد:١٧]، وقول اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢)**﴾[الأنفال:٠٢]، والآيات والأحاديث في هـٰذا الباب كثيرة أن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «**يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان**» [1] مما يدل على أن الإيمان ينقص حتى يكون مثل مثقال ذرة أو

([1]) **البخاري**: كتاب الإيمان، باب زيادة الإيمان ونقصانه، حديث رقم (٤٤).

مسلم: كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، حديث رقم (١٩٣).

أقل، فكونه يُخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان، دليل أن الإيمان يزيد وينقص، فإنه إذا كان يتناقص حتى يكون مثل هـٰذا المقدار الذي بينه النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- للتمثيل؛ فإنه دليل أيضا مع النصوص الأخرى أنه يزيد وينقص.

ثم أخبر أنه (**بضعٌ وسبعونَ شعبَة**) والبضع هو ما بين الاثنين إلى العشرة، والشعبة هي بعض أفراد الشيء، وأعلى هـٰذه الشعب كما جاء في الحديث (**قولُ لا إلـٰه إلاّ الله، وأدْناها إماطةُ الأذَى عنِ الطريقِ**) يعني إزالة شيء من الأذى عن طريق الناس (**والحياءُ شعبةٌ مِنَ الإيمـانِ**) والحياء هو أن يستحي المرء من الله قبل الناس، ﴿**يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلاَ يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لاَ يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ**﴾[النساء:١٠٨]، معناه يراقب المرء المسلم في السّر والعلن.

ثم بدأ في بيان الأركان وهي ستة كما جاء في حديث جبريل.

المقصود أن الركن الأول والعظيم هو تحقيق الإيمان بالله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- ويشمل ذلك الإيمان به ربا، والإيمان به إلـٰها ومعبودا، والإيمان بأسمائه وصفاته وكل ما جاء به من عند الله. ثم الإيمان بالرسل، والملائكة، واليوم الآخر، والإيمان بالقدر خيره وشره.

وثم ذكر أحد الأدلة على وجوب الإيمان وهو قول الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ-: ﴿**لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلاَئِكَـةِ وَالْكِتَـابِ وَالنَّبِيِّينَ**﴾[البقـرة:١٧٧]، وقد سئل النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عن الإيمان فتلا هـٰذه الآية. ودليل القدر دل عليه الكتاب كما دلت عليه السنة، فمن الكتاب قال الله -تعالى-: ﴿**إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ**﴾[القمر:٤٩]، وقول النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "**وتؤمن بالقدر خيره وشره، حلوه ومـره، من الله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ**".[1]

[المتن]

المرتبةُ الثالثةُ: الإحسانُ، ركنٌ واحدٌ، وهو أنْ تعبدَ اللهَ كأنَّك تَراهُ فإنْ لم تكنْ تَراهُ فإنَّه يَراكَ، والدليلُ قولُهُ تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُـم مُحْسِـنُونَ﴾[النحـل:١٢٨]، وقولُـهُ تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (٢١٧) الَّذِي يَرَاكَ حِـينَ تَقُـومُ (٢١٨) وَتَقَلُّبَـكَ فِـي السَّاجِدِينَ (٢١٩) إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[الشـعراء:٢١٧-٢٢٠]، وقولُهُ تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِـي

---

[1] الحديث في مسلم دون زيادة (حلوه ومره) وقد ضعيف هـٰذه الزيادة الشيخ الألباني في ظلال الجنة.

شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾[يونس:٦١] الآية.

والدليلُ مِنَ السُّنَّة حديثُ جبريل المشهور عن عمر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال: بينما نحن جُلوسٌ عند رسولِ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ذات يوم، إذا طلع علينا رجلٌ شديدٌ بياضِ الثياب، شديد سوادِ الشَّعر، لا يُرى عليه أَثَرُ السَّفر، ولا يعرفه مِنَّا أحد، حتّى جلس إلى النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فاسند رُكبَتَيْه إلى رُكبَتَيْه، ووضع كَفَّيْه على فخذيه، وقال: يا مُحَمَّدُ؛ أَخْبِرْنِي عَنِ الإسلام. فقال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الإِسْلاَمُ أن تَشْهَدَ أَن لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَلاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اِسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلا»، قال: صَدَقْتَ. فعجبنا له: يسأله ويُصَدِّقُه! قال: فأخبرني عن الإيمان؟ قال: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ،وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»، قال: صدقت. قال: فأخبرني عن الإحسان؟ قال: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّك تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكْ». قال: فَأَخْبِرْنِي عَنْ السَّاعة؟ قال: «مَا الْمَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ». قال: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا؟ قال: «أَنْ تَلِدَ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ». قال: فَمَضَى فَلَبِثنا مَلِيا، فقال: «يَا عُمَرُ، أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟» قلت: الله ورسوله أعلَم، قال: «فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ، أَتَاكُمْ يُعَلِمُكُمْ دِينَكُمْ».

[الشرح]

سمعنا هـٰذا الحديث قبل قليل، وعرفنا أن الركن الثالث (هو أنْ تعبدَ اللهَ كأنَّك تَراهُ فإنْ لم تكنْ تَراهُ فإنَّه يَراكَ) بمعنى أنه يراقب العبد في السر والعلانية، كلما سولت له نفسه أمرا يعلم أن له ربا يعلم له خائنة الأعين وما تخفي الصدور فيقلع عن هـٰذا الأمر.

فإن مرتبة الإحسان خلاصتها مراقبة الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- في السر والعلانية، وأن يكون خوف الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- رادعا له عن كل شر، فيحسن امتثال الأوامر واجتناب النواهي وأداء التطوعات، وهي أعلى درجات الدين.

وقد قسم الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- أهل الإسلام إلى ثلاثة أقسام: ظالم لنفسه، ومقتصد، وسابق بالخيرات.

فالظالم لنفسه: هو المسلم الذي وقع في شيء من الذنوب والكبائر؛ لكنه غير مشرك، بل هو موحد ومن أهل التوحيد، ولكن عليه بعض المعاصي. فهذا تحت مشيئة الله إن شاء غفر له بفضله، وإن شاء عذبه بعدله ولا يظلم ربك أحدا.

والثاني المقتصد: وهو الذي يقتصر على ترك المحرمات وفعل الواجبات ولا يتوسع في ذلك.

والثالث السابق بالخيرات: وهو الذي بلغ درجة الإحسان، بأن أضاف إلى فعل الأوامر واجتناب النواهي الاجتهاد في التطوّعات المشروعة التي دلت عليها الأدلة بأن يراقب الله -عز وجل- في كل لحظة من لحظات حياته، كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ: ﴿**إِنَّ اللّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ (١٢٨)**﴾[النحل:١٢٨]، وقول الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ-: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ (٢٠١)**﴾[الأعراف:٢٠١]، وهو معنى قوله: (**أنْ تعبدَ اللهَ كأنَّك تَراهُ فإنْ لم تكنْ تَراهُ فإنَّه يَراكَ**) تعتقد أن الله مطلع على حركاتك وسكناتك وجميع تصرفاتك. [1]

[1] انتهى الشريط الخامس

بسم الله الرحمن الرحيم

[المتن]

الأصلُ الثالثُ: معرفةُ نبيكُمْ محمدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وهو محمدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ عبدِ المطلبِ بنِ هاشمٍ، وهاشمُ مِنْ قريشٍ، وقريشٌ مِنَ العربِ، والعربُ مِنْ ذرّيّةِ إسماعيلَ بنِ إبراهيمَ الخليلِ، عليْهِ وعلى نبيّنا أفضلُ الصَّلاةِ والسّلامِ، وله مِنَ العُمْرِ: ثلاثٌ وسِتُّونَ سنةً، منها أربعون قبل النُّبُوَّةِ، وثلاثٌ وعشرون نبيّا رسولا، نُبِّئَ بـ (اقرأ) وأُرْسِلَ بـ(المدّثر)، وبلدُهُ مكّةَ، بعثَهُ اللهُ بالنَّذَارَةِ عنِ الشّركِ، ويدعُو إلى التَّوحيدِ، والدليلُ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥) وَلا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ (٦) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾[المدثر:١-٧] ومعنى ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾ يُنْذِرُ عنِ الشّركِ ويدعُو إلى التَّوحيدِ، ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ أي: عَظِّمْهُ بالتَّوحيدِ، ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ أي: طَهِّرْ أعمالَكَ عنَ الشِّركِ، ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ الرُّجْزُ: الأصنامُ، وهجرُها تَرْكُها وأهلِها، والبراءَة منها وأهلِها.

أخذَ على هٰذا عشْرَ سِنينَ يدعُو إلى التوحيدِ، وبعدَ العشْرِ عُرِجَ به إلى السماءِ وفُرِضَتْ عليه الصلواتُ الخمسُ، وصلَّى في مكّةَ ثلاثَ سنينَ، وبعدَها أُمِرَ بالهجرةِ إلى المدينةِ.

[الشرح]

بسم الله الرحمٰن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد؛

الأصل الأول العلم بما يتعلق بواجبك نحو ربك.

والثاني العلم بأحكام الدين.

والأصل الثالث الذي نحن بصدده الآن معرفة نبينا محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وكما علمنا أن هٰذه الأصول هي التي يسأل عنها العبد عنها عندما يموت، عندما يأتيه الملكان فيقعدانه ويسألانه من ربك؟ ما دينك؟ من هٰذا الرجل الذي بُعث فيكم؟ فالمؤمن يوفَّق للإجابة، والكافر لا يوفق وإن كان يعرفها في الدنيا، وإنما يقول: هاه هاه لا أدري كنت أقول مثل ما يقول الناس. والعياذ بالله.

ومعرفة الأصل الثالث الذي هو معرفة نبينا -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وبيان هديه والسير على منهجه القويم قولا وعملا واعتقادا، وهو من سلالة نبينا إبراهيم -عليه السلام- فهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، وهاشم من قبيلة قريش خير قبائل العرب، وقريش من ذرية

عدنان، وعدنان من ذرية نبيّ الله إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام، فهو كريم من كرام، صلوات الله وسلامه عليه، وقد بعثه الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- على حين فترة من الرّسل بعد آخر نبي قبله، وهو عيسى -عليه السلام- بعد ما يقارب ستمائة عام، وبعد أن حُرِّفت التوراة والإنجيل، وحرفت الحنيفية ملة إبراهيم، وعاد الناس تماما إلى الحال الذي كان عليه قوم نوح من قبل، من عبادة الأصنام والأوثان والأحجار والأشجار، فبعث الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- نبيه ومصطفاه نبينا محمد بن عبد الله ليخرج الله الناسَ من الظلمات إلى النور، ولتكون رسالته خاتمة الرِّسالات، ولتكون رسالته عامة للثقلين الجن والإنسان ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا**﴾[الأعراف:١٥٨]، ويقول النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أكثروا من الصلاة والسلام عليه وبخاصة ليلة الجمعة ويومها فقد حثّ النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- على ذلك، أقول: أرسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وبعثه الله للناس كافة قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : «**أعطيتُ خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نُصرت بالرعب مسيرة شهر، وجُعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، فأيّما رجل أدركته الصلاة فليصلي، وأعطيتُ الشفاعة العظمى**» أي الشفاعة التي يتخلى عنها أولي العزم من الرسل «**وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثتُ إلى الناس عامة**» وهٰذا هو الشاهد «**وختمت بي الرِّسالات، لا نبي بعدي**»[1] هٰذه من خصائصه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، مما أكرمه الله به، ومما ميزه الله به على سائر الرسل -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-.

وقد بعثه الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- بالتوحيد، وقد عاش ثلاثا وستين سنة، منها أربعون قبل النبوة، وثلاث وعشرون نبيا رسولا، نبأه الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- بِـ (اقرأ)، وأرسله بـ(المدّثر)، لينذر الناس من عبادة الأصنام ويدعوهم إلى عبادة الله وحده، فمكث يدعوهم عشر سنين و لم يستجب له من قريش إلا القليل؛ بل نابذوه وأظهروا له العداء وناوءوه وآذوه وآذوا أصحابه الذين اتبعوه فصبر وصابر حتى نصره ربه وحتى أتاه اليقين، ومكّن له الدين الذي ارتضاه له، فأكمل الله به الدين، وأتم علينا به النعمة، فصلوات الله وسلامه عليه وجزاه الله خير ما يجزي نبيا عن أمته، اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

([1]) **البخاري**: كتاب الصلاة، باب قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ((**جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا**))، حديث رقم (٤٣٨).
مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم (٥٢١).

وقد أشار الشيخ -رحمه الله- إلى بعض معاني سورة المدثر التي أرسله الله بها إلى الأمة، فقد ناداه الله تعالى بـ ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ أي الذي يلتف بثيابه وبخاصة أول ما نزل عليه الوحي؛ لأنه أمرٌ لم يعتده قبل ذلك، فجاء إليه إلى زوجته أم المؤمنين خديجة -رَضِيَ اللهُ عَنْها- يقول لها: "**دثروني دثروني أو زملوني زملوني**" لأن هـٰذا أمر جديد عليه، عندما نزل عليه أول وحي -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ- فنزل ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾ أي أنذر الناس من عبادة الأصنام إلى عبادة العلي الرحمـٰن، ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ أي عظم الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ- بما هو أهل له، ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ أي أحسن أعمالك بحيث لا يصدر منك إلا أمر طاهر وأمر طيب، ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ الرجز هي الأصنام وتسمى رجزا وتسمى رجسا، ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ إشارة إلى أنك ستواجه مصاعب عظيمة ومعارضات قوية حتى من أقرب الناس إليك، من بعض أعمامك وأهلك، فعليك أن تتحلى بالصبر، وهـٰذه أبرز صفات المؤمنين عامة والأنبياء خاصة، ولذلك يقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "**أشد الأنبياء بلاء الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل**"،[1] ولذلك فإنهم يصبرون على ما لا يصبر عليه غيرهم.

أخرجه قومه من مكة، وضاقت عليه الأرض بما رحبت، فذهب إلى أهل الطائف ليدعوهم فآذوه وضربوه بالنبال حتى أدموا عقبيه، ويعود كئيبا حزينا في سنة فقد فيها أم المؤمنين خديجة -رَضِيَ اللهُ عَنْها- التي كانت نعم المؤازر ونعم المعين بعد الله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ، والتي قالت له أول ما وحي إليه: أبشر يا ابن العم، والله لا يخزيك الله أبدا، فإنك تكسب المعدوم، وتحمل الكل، وتعين على نوائب الدهر. رَضِيَ اللهُ عَنْها، وفقد أيضا معينا آخر سخره الله له، وإن كان قد بقي على كفره وهو عمه أبو طالب فقد كان يقوم بحمايته ونصرته تعصبا وحمية لابن أخيه، مع أن أبا طالب نسأل الله حسن الخاتمة يعرف أن ما جاء به نبينا محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حق؛ ولكن مع ذلك أراد الله أن يموت على الكفر ليبين أن البعد والقرب من الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إذا لم يلتزم شرع الله -عز وجل- لا يقم ولا يؤخر، وإلا فهو كان يقول :

ولقد علمت أن دين محمدٍ		من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذار مسبة		لوجدتني سمحا بذاك مبينا

[1] **سنن الترمذي**: كتاب الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء، حديث رقم (٢٣٩٨)، قال الترمذي: هـٰذا حديث حسن صحيح.

سنن ابن ماجه، كتاب الفتن ، باب الصبر على البلاء، حديث رقم (٤٠٢٣).

قال الشيخ الألباني: حسن صحيح.

فمات على الكفر بطريقة سبق أن ذكرها من قبل، نسأل الله وإياكم العافية، ومع ذلك فإنه يخفف عنه حيث يلبس نعلين من نار يفوح منها دماغه، نسأل الله العافية والسلامة.

أقول: عاد من الطائف، وهو في هذه الحال فيأتيه ملك الجبال فيقول له: أتريد أن أطبق عليهما الأخشبين. يعني أتريد أن أهلكهم، فهو يأتمر بأمر الله، لو أنه طلب ذلك لوقع، كما دعا نوح عليه السلام: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ (١٠)﴾[القمر:١٠]، ولكن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الرؤوف الرحيم المشفق على أمته يقول له: "**لا، لعل الله أن يخرج من أصلابهم من يؤمن بالله ورسوله**"[1] الله أكبر صلوات الله وسلامه عليه، ما أشفقه على الأمة وما أرأفه بها، حيث جعل الله في قلبه هذه الرحمة وهذه الرأفة وهذه الشفقة ﴿لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١٢٨)﴾[التوبة:١٢٨]، فجزاه الله عن أمته خير ما يجزي به نبيا عن قومه، صابر وصبر، وجاهد واجتهد حتى أعلى الله كلمته، ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده، ودخل الناس في دين الله أفواجا، فلم يمت حتى رأى جحافل الإسلام تأتي من كل حدب وصوب من أصقاع هذه الجزيرة العربية.

ثم امتد نور الإسلام إلى أن وصل إلى أقصى الأرض غربا وأقصاها شرقا، فمنّ الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- علينا به وبإرساله، يدعو الناس إلى توحيد الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- ويركز عليه، ولم تترل الأحكام التفصيلية إلا بعد أن هاجر إلى المدينة؛ لأنه كان مشغولا بما هو أهم وهو الدعوة إلى توحيد الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-، وهذا هو محور دعوة جميع الرسل، وهو الذي يجب أن يبدأ به خلافا لما تزعمه بعض الطوائف، أو بعض من ينتسبون إلى الدعوة الذين يقولون دعوا الدعوة إلى التوحيد وتكلموا في مشاكل الأمة المعاصرة، وفي بعض المسائل التي ربما يجتمع عليها حتى الكفار مع المسلمين.

[المتن]

وصلَّى في مكّةَ ثلاثَ سنينَ، وبعدَها أُمِرَ بالهجرةِ إلى المدينةِ.

والهجرةُ: الانتقالُ مِنْ بلدِ الشِّركِ إلى بلدِ الإسلامِ، والهجرةُ فَريضةٌ على هٰذه الأمّةِ مِنْ بَلَدِ الشِّركِ إلى بلدِ الإسلامِ، وهي باقيةٌ إلى أنْ تقومَ الساعةُ، والدليلُ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ

---

[1] البخاري: كتاب بدء الخلق ، باب ((إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء آمين...))، حديث رقم (٣٢٣١).
مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أذى المشركين والمنافقين، حديث رقم (١٧٩٥).

وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (٩٧) إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنْ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلا يَهْتَدُونَ سَبِيلاً (٩٨) فَأُوْلَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾[النساء:٩٧-٩٩]، وقوله تعالى: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾[العنكبوت:٥٦]، قالَ البَغَوِيُّ رحمهُ اللهُ: سببُ نزولِ هٰذه الآيةِ في المسلمين الذين بمكَّةَ لم يهاجِرُوا؛ ناداهُم اللهُ باسمِ الإيمانِ.

والدليلُ على الهجرةِ من السُّنَّةِ قولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا تَنْقَطِعُ الهجرَةُ حتَّى تَنْقَطِعَ التَّوبةُ ولا تنقطعُ التّوبةُ حتّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا**»[(١)].

[الشرح]

(**والهجرةُ: الانتقالُ مِنْ بلدِ الشِّركِ إلى بلدِ الإسلامِ**) ومن بلد الكفر أيا كان إلى بلد الإسلام، وهي واجبة مع القدرة والاستطاعة، فلا يجوز لمسلم أن يقيم في بلد الكفر بدون ضرورة تدعو إلى ذلك، وسنتحدث عن قدر هٰذه الضرورات إن شاء الله؛ ولكن المهم أن نعرف الهجرة.

وكانت الهجرة مشروعة من مكة إلى المدينة عندما كانت مكة دار حرب، وعندما كانت دار حرب على الإسلام والمسلمين، فأوجب النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الهجرة على المسلمين من مكة إلى المدينة حتى فتح الله مكة على المسلمين.

ثم بعد ذلك انقطعت الهجرة من مكة، وبقيت الهجرة حكمها باق من أي بلد كافر، ولذلك يقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية**»[(٢)] يعني لا هجرة من مكة إلى المدينة بعد فتح مكة؛ لأن العلة انتهت، ولأن الإسلام انتشر فلا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد نية وجهاد وصدق مع الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-، أما ما عدا مكة فأي بلد كافر فإن الهجرة منه إلى بلد مسلم مشروعة، الهجرة مشروعة من أي بلد كفري إلى بلاد الإسلام، ومهما كان في بلاد الإسلام من قصور أو تقصير فإنها خير من بلاد الشرك.

والهجرة باقٍ حكمها إلى يوم القيامة، ولذلك أمر الله تعالى بها بسبب أن جماعة من الصحابة قد بقوا مع قدرتهم على الهجرة، أما غير القادر فهو معذور، قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ

---

(١) **سنن أبي داوود**: كتاب الجهاد، باب في الهجرة هل انقطعت، حديث رقم (٢٤٧٩). قال الشيخ الألباني: صحيح.

(٢) **البخاري**: كتاب جزاء الصيد، باب لا يحل القتال بمكة، حديث رقم (١٨٣٤).

مسلم: كتاب الحج، باب تحريم مكة وصيدها وخلاها وشجرها.. حديث رقم (١٣٥٣).

الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (٩٧) إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنْ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلا يَهْتَدُونَ سَبِيلاً (٩٨) فَأُوْلَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾[النساء:٩٧-٩٩]، ويقول تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ مِن بَعْدُ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَـئِكَ مِنكُمْ﴾[الأنفال:٧٥]، فالهجرة باقية إلى يوم القيامة، وقوله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلى اللّهِ وَكَانَ اللّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (١٠٠)﴾[النساء:١٠٠]، والرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول: "**لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها**" لذلك فإنّ الواجب على المؤمن أن يجتهد في طاعة الله -جل وعلا- وإذا كان في بلاد كافرة وجب عليه أن يهاجر منها إلى بلاد المسلمين ما استطاع إلى ذلك سبيلا، فإذا كان مستضعفا من المستضعفين، و لم يجد سبيلا إلى الهجرة فعليه أن يحافظ على دينه وأن ينتبه لخطورة هؤلاء الكفار الذين يقيم بينهم.

بقي أن يقال: هل للمسلم أن يبقى في بلاد الكفار بسبب ظروف معينة؟

الواقع أنه ينظر في حال ذلك المقيم في بلاد الكفار، فإن كانت هناك ضرورة تدعو إلى إقامته، وحاجة ماسة تدعوه إلى البقاء فليبق قدر ما تنتهي به هٰذه الضرورة، ثم ليعد إلى بلاد المسلمين، وإن لم تكن ثمة ضرورة فلا تجوز له الإقامة البتة؛ بل يجب عليه أن يهاجر في بلاد المسلمين، ولو أن يعيش على شظف العيش، أيضا لعله يستثنى إليه من هٰذا ما اضطر إليه المسلمون بحكم ما يعيشون فيه في هٰذا الزمان من الحاجة إلى تعلم بعض الأمور العلمية التي تعود بالنفع على الإسلام والمسلمين، فالمسلمون مضطرون أن يبعثوا أبناءهم لتعلم تلك العلوم.

فنبغي للمسلم أن لا يقيم في بلاد الكفر دون ضرورة تدعو إلى هٰذا البتة، وأن لا يفضل أو يرغب في البقاء في بلاد الكفار، وأن يبتعد عنهم؛ لأنهم مهما كان سوف يحصل له أذى في دينه، ولو لم يكن إلا أن يعود إلى بلاد المسامين مهما كان فيها من شظف العيش، وأن ينتقل من بلد الكفر إلى بلد الإسلام.

بعض الناس عنده خدعة أو -إن جاز التعبير- عنده وهم، وهو ما يتوهم من حرية للتعبير أو الكلمة التي يزعمون أنها توجد في تلك البلاد الكافرة.

وهـٰذا الأمر ذرّ للرماد في العيون، حرية في جانب، البهرجة واستعباد في واقع الأمر، فهل من كان هـٰذا شأنه نزعم أنهم أصحاب حرية، وأن المسلمين ينالون جميع حقوقهم؛ أقصد لا يجوز للمسلم أن يتصور هـٰذا التصور أو أن يشعر بهـٰذا الشعور، أنظر إلى دعوتهم المزعومة إلى ما يسمونه بحقوق الإنسان، هـٰذه الدعوة الكاذبة الباطلة تتركز على أمرين، وتهمل ما هو أعظم وأعظم:

الأمر الأول: تشويه سمعة الإسلام، وإظهاره بالمظهر البشع، وبخاصة أحكام الحدود، وأحكام الآداب والأخلاق، هـٰذا أمر.

الأمر الثاني تتضمن مزاعمهم التنكر لجميع القيم، ودعوة الناس إلى الإباحية.

هـٰذه هي حقوق الإنسان عندهم، تشويه سمعة الدولة التي تطبق الإسلام، ومحاولة النيل منها، وإظهار أحكام الله بالمظهر الذي لا يليق على حد زعمهم. والأمر الثاني الدعوة إلى الإباحية والانحلال من جميع القيم.

هـٰذه هي الحقوق التي يزعمون، أين دعاة الحقوق المزعومة عن الذين يقتلون في فلسطين وفي غيرها من بلاد المسلمين؟ وأين هم عن تصرّف اليهود وأذناب اليهود في المسلمين العزّل الذين يقتّلون ويشردون ويتمون وتسحق أموالهم، وتسحق مزارعهم، وتسحق مقدراتهم، ولا يتحرك أحد من أدعياء تلك الحقوق.

لكن من يغتر بهم مما يؤسَف له أن تنشر بعض الصحف في بلاد المسلمين، تمجيدا لهؤلاء ولحرياتهم، ولدعوتهم إلى الحقوق وإلى دعوتهم إلى البرلمانات، أكبر طاغوت على وجه الأرض الانتخابات والبرلمانات؛ لأنها دعوة إلى قبول النتيجة ولو كانت مخالفة للشرع، هو يقسم على قبول النتيجة مهما كانت، مهما كانت هو يقبلها، وذهب كثير من أدعياء الدعوة في هـٰذه البرلمانات و لم يستطيعوا أن ينفعوا أحدا.

فلذلك فإنّ دعواهم الحرية وحقوق الإنسان، كلها دعاوى بالية، أحدهم يترك أباه وأمه في الملاجئ، هـٰذا إن وجدت ملاجئ، إنما الحقوق تتمثل كما قلت في تشويه سمعة الإسلام وتطبيقه وفي عودة الناس إلى الإباحية، وهـٰذا دمار للحقوق وليس قياما للحقوق.

[المتن]

فلمَّا استقرَّ بالمدينةِ أُمِرَ ببقيَّةِ شرائعِ الإسلامِ مثلُ الزكاةِ، والصّومِ، والحجِّ، والأذانِ، والجهادِ، والأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عنِ المنكرِ وغيرِ ذلكَ مِنْ شرائعِ الإسلامِ.

أخذَ على هٰذا عَشَرَ سنينَ، وبعدَها تُوُفِّيَ -صلواتُ اللهِ وسلامُهُ عليهِ- ودينُهُ باقٍ. وهٰذا دينُه، لا خيرَ إلاَّ دَلَّ الأمَّةَ عليهِ، ولا شرَّ إلاَّ حَذَّرَهَا منْه.

والخيُر الذي دلَّهَا عليْه: التَّوحيدُ، وجميعُ ما يُحِبُّهُ اللهُ ويرضاهُ.

والشَّرُّ الذي حَذَّرَهَا منه: الشِّركُ وجميعُ ما يكرَهُهُ اللهُ ويأباهُ.

بعثَهُ اللهُ إلى الناسِ كافَّة، وافترضَ طاعَتَه على جميعِ الثّقلينِ: الجنِّ والإنسِ، والدليلُ قولُهُ تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾[الأعراف:١٥٨].

وكمَّلَ اللهُ به الدينَ والدليلُ قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾[المائدة:٠٣].

والدليلُ على موتِهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قولُهُ تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ (٣٠) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾[الزمر:٣٠-٣١].

والناسُ إذَا ماتُوا يُبْعَثُونَ، والدليلُ قولُهُ تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾[طه:٥٥]، وقولُهُ تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الأَرْضِ نَبَاتًا(١٧)ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾[نوح:١٧-١٨].

وبعدَ البَعْثِ محاسبُونَ ومَجزيُّونَ بأعْمالِهِمْ والدليلُ قولُهُ تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾[النجم:٣١]، ومَنْ كَذَّبَ بالبعثِ كَفَرَ، والدليلُ قولُهُ تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾[التغابن:٠٧].

[الشرح]

من المسائل التي نبه عليها الشيخ -رحمه الله- أن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بعد أن مكث بمكة ثلاث عشرة سنة يدعو إلى توحيد الله تعالى، و لم يترل من الأحكام إلا القليل، وبعد هجرته - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- إلى المدينة، وانتشار الدين هناك، ودخول الكثير من الناس فيه وحصول وقيام شوكة للإسلام والمسلمين عندها نزلت شرائع الإسلام التفصيلية وطبعا شرعت الصلاة في مكة؛ ولكن شرعت الزكاة والصوم الحج وبقية الأحكام في المدينة النبوية.

وأكمل الله هذا الدين قبل أن ينتقل النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إلى الرفيق الأعلى، كما قال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ

دِينًا﴾[المائدة:٠٣]، و لم ينتقل النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حتى بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده، و لم يكن هناك من خير إلا دل الأمة عليه، و لم يكن هناك من شر إلا حذّر الأمة منه كما قال -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ- من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُما: «**ما بعث الله من نبي إلا كان حقا عليه أن يدلّ أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شر ما يعلمه لهم**»،[1] ويقول عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: «**إني تارك فيكم أمرين لن تضلوا بعدي ما تمسكتم بهما**».[2] ثم إنه -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ- جاهد واجتهد إلى أن أكمل الله به الدين، وأعلى الله كلمته، ونصر دينه، وتركنا على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.

و لم ينتقل -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إلى الرفيق الأعلى حتى بلّغ الأمة جميع أحكام الشرع، وقد أخبر الله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- بأنه سوف يأتيه الموت كما يأتي سائر الأمة؛ لأن هذه سنة الله في خلقه أن لا يبقى أحد على ظهرها، قال تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ (٣٠) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾[الزمر:٣٠-٣١]، وقال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ (١٤٤)﴾[آل عمران:١٤٤] فالموت مقدّر على الجميع؛ على الأنبياء وعلى الرسل وعلى الملائكة وعلى جميع الخلق، فلا راد لقضاء الله ولا معقب لحكمه، والموت يشمل جميع الخلائق بمن فيهم الأنبياء والرسل عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، فلا يجوز أن نتشكك في ذلك ولا أن نشك فيه؛ لأن هذا أمر قد كتبه الله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- على جميع بني آدم؛ بل على جميع الثقلين، فلا نحتاج إلى من يشكك فيه، أو يدعي حياة للنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- تشبه الحياة الدنيا، نعم الأنبياء أحياء حياة برزخية كما أن الشهداء أحياء حياة برزخية أيضا، لا يعلم كنهها أو شكلها إلا الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ-.

فينبغي أن نفهم هذا الأمر، وأن لا يأخذنا التقليد الأعمى لما ورث عن بعض الناس حتى انحرف عن هذه الجادة، والذين يزعمون أن الحياة تشبه الحياة الدنيا فيطلب منه الدعاء وتطلب منه الشفاعة، ويطلب منه كثير بعد وفاته، فإن هذا سفه ودجل لم يقل به أحد من الناس؛ بل لم يرد فيه

---

(١) **مسلم**: كتاب الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول، حديث رقم: (١٨٤٤).

(٢) **الموطأ**: كتاب القدر، باب النهي عن القول بالقدر، حديث رقم، ١٦٦٢. مرسلا، وقد وصله ابن عبد البر.
قال الشيخ الألباني في رسالة التوسل وأحكامه: إسناده حسن.

نص ولو حتى بطريق ضعيف، فالأنبياء كلهم يموتون وكلهم يمرضون وينامون وينكحون ويتزوجون، ويحصل لهم ما يحصل مما قدّر الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ- في السنن الكونية.

ثم بين المصنف -رحمه الله- وجوب الإيمان بالبعث بعد النشور؛ بعث الأجسام ثم عودة الأرواح إليها بإذن الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ-.

فإذن البعث حق، والإيمان به ركن من أركان الإيمان، فمن شك فيه فليس بمسلم، وهو البعث بعد الموت للجزاء والحساب، والعرض يعني يوم العرض على الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ- ﴿ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ (١٦١)﴾[آل عمران:١٦١]، ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ (٢)﴾[الحج:٠٢]، وقال الله تعالى مبينا أهمية البعث والغرض منه أنه الجزاء ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾[النجم:٣١]، وقال تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾[التغابن:٠٧].

فعلينا أن نؤمن بهـٰذه الأمور وأن نوقن بها كما أمرنا ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ.[1]

[1] انتهى الشريط السادس.

بسم الله الرحمن الرحيم

[المتن]

وأرسلَ اللهُ جميعَ الرُّسلِ مبشِّرينَ ومُنذرينَ، والدليلُ قولُهُ تعالى: ﴿رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾[النساء:١٦٥]، وأولُهُمْ نوحٌ عليهِ السلامُ، وآخِرُهُم محمدٌ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وهو خاتمُ النَّبيينَ والدليلُ على أنَّ أوَّلُهُم نوح قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾[النساء:١٦٣]، وكلُّ أمَّةٍ بعثَ اللهُ إليها رسولاً مِنْ نوحٍ إلى محمدٍ يأمُرُهُمْ بعبادةِ اللهِ وحدَهُ، ويَنْهَاهُمْ عنْ عبادَةِ الطاغوتِ، والدّليلُ قولُهُ تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنْ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[النحل:٣٦]،

[الشرح]

بسم الله الرحمٰن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وبعد؛ ما زلنا في الأصل الثالث، وهو ما يتعلق بالنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- والإيمان به وبما جاء به من عند الله، وذكر في هٰذه المسائل:

أولا أن الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ- قد أرسل رسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بالتوحيد، فجميع الرسل قد دعوا إلى عبادة الله وحده من أولهم نوح -عليه السلام- إلى خاتمهم وأفضلهم نبينا محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كما قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلاَ تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾[الشورى:١٣]، وقال تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنْ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[النحل:٣٦]، وقال تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ﴾[النساء:١٦٣]، وقال جل وعلا: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَـٰهَ إِلاَ أَنَا فَاعْبُدُونِ (٢٥)﴾[الأنبياء:٢٥]، فالجميع قد بعثوا بعبادة الله وحده، ونبذ عبادة ما سواه من الأصنام والأوثان والأحجار والأشجار والقبور والأضرحة.. وما إلى ذلك مما يتعلق به الناس من المعبودات الفاسدة التي أخرجتهم من نور الإسلام إلى ظلام الكفر والوثنية.

ومما يتعلّق بذلك أن نعلم جميعا أن الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ- جعل رسالته خاتمة الرسالات وعامة للثقلين بعد أن أرسل الرسل جميعا مبشرين ومنذرين كما قال الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ-: ﴿رُّسُلاً

﴿مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٦٥)﴾[النساء:١٦٥]، وقوله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً (١٥)﴾[الإسراء:١٥]، فالرسل حجة الله على خلقه، بعثهم الله بالهدى ودين الحق والنور ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، وليخرجهم من عبادة العباد إلى عبادة ربّ العباد، إلى أن جاء خاتمهم وأفضلهم وسيدهم وسيدنا وسيد الأولين والآخرين نبينا محمد بن عبد الله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين، فجعله خاتم النبيين كما قال جل وعلا: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾[الأحزاب:٤٠]، وكما قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**أنا خاتم النبيين لا نبي بعدي**» وقال عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: «**مثلي ومثل الأنبياء قبلي كمثل قصر بني فأحكم بناؤه ما عدا موضع لبنة، فصار النظار يتعجبون من حسن بنائه إلا موضع تلك اللبنة، فجئت فسددت ذلك الموضع وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي**»،[1] وقال عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: «**أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، وأعطيتُ الشفاعة، وكان الرسول يبعث إلى قومه خاصة وبعثت للناس عامة، وختمت بي الرسالات أو النبوات لا نبي بعدي**»[2] وما يدل لذلك قوله عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: «**أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الحاشر، الذي يحشر الناس تحت قدمي، وأنا الماحي يمحو الله بي الكفر، وأنا العاقب فلا نبي بعدي**»[3] والعاقب هو الذي تختم به الأمور، وهٰذه هي الأسماء الثابتة لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: محمد وأحمد والماحي والحاشر والعاقب له خمسة أسماء، ولا توجد أسماء غيرها، ولو ألف المؤلفون وأكثر المخرفون من هٰذه الأسماء، وكثير من التي يعتبرها المؤلفون اسما، إما أنها صفات ككونه هاديا وسراجا منيرا ونذيرا وبشيرا ورحمة مهداة وما إلى ذلك، فهٰذه كلها أوصاف له -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ- ولا يقال بأنها أسماء، ومن جعلها أسماء فقد أخطأ، فإنه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول: لي خمسة أسماء وذكر: محمد وأحمد والماحي والحاشر والعاقب. ومن زاد عليها فقد افترى.

([1]) **البخاري**: كتاب المناقب، باب خاتم النبيين صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حديث رقم (٣٥٣٥).

مسلم: كتاب الفضائل، باب ذكر كونه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خاتم الأنبياء، حديث رقم (٢٢٨٦).

[2] سبق تخريجه في الصفحة (٥٢).

[3] **مسلم**: كتاب الفضائل، باب في أسمائه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حديث رقم (٢٣٥٤).

وأما ما يسميه بعض الناس من الحروف المقطعة أسماء للنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كالذين يسمونه بـ: طه أو يس، فهذا دجل ليس بصحيح، ولا دليل عليه أبدا فإن ﴿طه﴾ و﴿يس﴾ تعتبر من الحروف التي بدئت بها السور مثل: ﴿الم، المص، الر، طسم، ق، ص، حم، عسق..﴾ إلى آخره.

فإن هذه فواتح السور، ولعل الأرجح مما قيل في تفسيرها أن يقال: إن الله تحدى العرب بأن يأتوا بمثل هذا القرآن وهو مكون من هذه الأحرف، ولو أننا سميناه: (طه)، أو (يس) وجب أن نسميه (الم) أو (ن) أو (ق) أو (ص) أو (طس) إلى آخره إذ لا فرق بين هذه وتلك، ولا تنظروا إلى بعض المؤلفات والكتيبات التي حشا بها المبتدعة والخرافيون كتبهم ويسمونه -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ- طه أو يسمونه يس، والله ليس عندنا فرق بين من يسمي (طه) أو بين من يسمى (الم) أو من يسمي (يس) أو من يسمى (ق)، وليسموا (ق)، وليسموا (ن) أو ليسموا (حم)، إذ أن الأمر واحد، ولم يرد ما يدل، أو ليسمه (كهيعص)، لا فرق بين (طه) و(يس) وبين (ق) أو (ن) أو (طسم) أو (حم) أو غيرها من الحروف المقطعة التي هي تفيد التحدي والتعجيز.

فلا ينبغي أن تسمي ابنك (طه) بدعوى أنه اسم من أسماء الرسول ولا (يس)؛ لأن (طه) حروف مقطعة، جاءت في القرآن لبيان التعجيز، فهي من الإعجاز الموجود في القرآن، ولذلك لا صحة لمن يؤلف في الأسماء ويجعل للنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عشرات أو مئات الأسماء، فهي إما أن تكون صفات وأوصاف له، وإما أن تكون من هذا القبيل الذي يظن أنها أسماء وهي ليست بأسماء.

المهم أن نعلم أن دعوته دعوة الأنبياء جميعا واحدة وكلهم دعوا إلى توحيد الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- ، ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنْ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[النحل:٣٦]، و﴿الطَّاغُوتَ﴾ مشتق من الطغيان وهو كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع، وسيتبرؤون ممن تعلق بهم يوم القيامة ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُواْ مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ (١٦٦) قَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ (١٦٧)﴾[البقرة:١٦٦-١٦٧]، فانتبه لهذا يا عبد الله.

[المتن]

وافترضَ اللهُ على جميعِ العبادِ الكفرَ بالطاغوتِ والإيمانَ باللهِ، قال ابنُ القيِّمِ رحمهُ اللهُ تعالى: معنى الطاغوت ما تجاوزَ بِهِ العبدُ حدَّهُ مِنْ معبودٍ، أو متبوعٍ، أو مطاع.

والطواغيتُ كثيرونَ ورؤوسُهُمْ خَمسةٌ: إبليسُ لعنَهُ اللهُ، ومَنْ عُبِدَ وهو راضٍ، ومَنْ دعا الناسَ

إلى عبادَةِ نفسِهِ، ومَنِ ادَّعى شيئًا مِنْ عِلمِ الغيْبِ، ومَنْ حكمَ بغيرِ مَا أنزلَ اللهُ، والدليلُ قولُهُ تعالى: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[البقرة:٢٥٦]، وهٰذا هو معنى (لا إلٰه إلا الله)، وفي الحديثِ «رأسُ الأمْرِ الإسلامُ وعمودُهُ الصَّلاةُ وذروةُ سنَامِهِ الجهادُ في سبيلِ اللهِ».(١)

واللهُ أعلمُ تَمَّتْ هٰذه الرسالة.

[الشرح]

هنا يبين المصنف -رحمه الله تعالى- في آخر هٰذا الكتاب العظيم أن الإسلام لا يتم إلا بولاء وبراء، ولاء لله وحده، وعبادته، وبراء من كل ما يعبد من دون الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-، إذ لابد حتى يتم الإسلام من الكفر بالطاغوت، والطاغوت مشتق من الطغيان ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاء حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ (١١)﴾[الحاقة:١١]، أي لما تجاوز حده وطغى على الأرض.

ويطلق الطاغوت على كل من تجاوز حده بالظلم، ويطلق الطغيان على الظلم، ولذلك ذم الله بني إسرائيل وذكر أنهم يعبدون الطاغوت ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللّهِ مَن لَّعَنَهُ اللّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾[المائدة:٦٠]، فكل من عُبد من دون الله فهو طاغوت بالنظر إلى العابد، فأما المعبود فقد يكون طاغوتا وقد يكون معبودا ظلما.

ولذلك ما كل معبود يقال له: طاغوت، اللهم إلا بالنظر إلى عابده، فإنّ بعض الناس مظلومون، بعض ما ينسب إلى بعض الصحابة من أمور، مثل بعض ما ينسب للحسين والحسن سيدا شباب أهل الجنة رَضِيَ اللهُ عَنْهُما، بعض ما ينسب إليهما من غلو، وبعض ما ينسب إلى غيرهما من الصحابة أو التابعين أو من أولياء الله الصالحين أيا كانوا، هٰذا العمل قد يعتبر عمل طاغوت بالنسبة للعابد، ولكن المعبود مظلوم، وسيتبرأ منهم يوم القيامة، كما يتبرأ عيسى -عليه السلام- من النصارى، وكما يتبرأ عزير -عليه السلام- من اليهود فيقولون: ﴿مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ (٦٣)﴾[القصص:٦٣]، ولذلك يقول تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾[البقرة:٢٥٦] لا يمكن تحقيق الإيمان بالله إلا بالكفر بكل ما يعبد من دون الله، ولذلك يروى

---

(١) سنن الترمذي: كتاب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة، حديث رقم (٢٦١٦) قال الترمذي: حديث حسن صحيح.
سنن ابن ماجه: كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة، حديث رقم (٣٩٧٣).
قال الشيخ الألباني: صحيح.

عن الإمام مالك أنه يقول: الطاغوت كل ما عُبد من دون الله. ويروى عن عمر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أنه قال: الطاغوت الشيطان. وعرفه ابن القيم بهذا التعريف: ما تجاوز به العبد حده. بأن تعلق به من دون الله من معبود يصرف له شيئا مما لا يجوز صرفه إلا لله، أو متبوع يتبعه في الباطل، أو مطاع يطيعه في معصية الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-، هـٰذا هو معنى الطاغوت، ولذلك جاءت الآية ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ والعروة الوثقى هي لا إلـٰه إلا الله، ومعناها لا معبود بحق إلا الله؛ لأن (لا إلـٰه) نفي، و(إلا الله) إثبات، ولا يصح الإيمان بلا إلـٰه إلا الله إلا بتصور هـٰذا المعنى، أنك عندما تقول: لا إلـٰه إلا الله، تنفي كل معبود يعبد من دون الله، وتثبت العبادة لله وحده لا شريك له، هـٰذا هو الذي يجب فهمه عن معنى لا إلـٰه إلا الله.

(والطواغيتُ كثيرونَ) الذين يعبدون من دون الله، وعلى رأسهم خمسة أصناف، كما ذكر الشيخ:

أولهم (إبليسُ لعنَهُ اللهُ) هو رأس الطواغيت، فهو الذي تولى إضلال هؤلاء كلهم، ومع ذلك يتبرأ منهم يوم القيامة يقول: ﴿قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (١٦)﴾[الحشر:١٦]، يورطهم في أمور خطيرة ثم يقول لهم: ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ وكما قال لكفار قريش يوم بدر: ﴿وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لاَ تَرَوْنَ﴾[الأنفال:٤٨]، ونكس على عقبيه والعياذ بالله، فهـٰذا هو رأس الطواغيت كلهم.

والثاني (ومَنْ عُبِدَ وهو راضٍ) كأولئك الطواغيت الذين يدعون الناس إلى عبادة أنفسهم، مثل: شيوخ أصحاب الطرق الذين نصبوا أنفسهم أولياء يتقولون على الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ويصدرون لأتباعهم صكوك الغفران التي تشبه صكوك النصارى، وكأنهم هم الذين نُوِّبوا عن الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا، لا ينبغي؛ بل لا يجوز، بل يحرم أن يتعلق بهؤلاء، أو أن يدعوا، أو أن يتعامل معهم بأي شكل من أشكال التعاون، ولذلك فإنه يجب على كل مسلم أن يبتعد عن هؤلاء الطواغيت، كالذي يقول: إذا كنت في هم وغم فنادني آتيك بسرعة! من الذي ينادى عند الهم والغم الله وحده!! ومن نادى الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أو الحسن أو الحسين أو حتى أبا بكر وعمر وعليا أو عثمان أو الشافعي ومالكا أو أحمد أو أبا حنيفة أو أي مخلوق كان، من ناداه من دون الله أو ملكا من الملائكة فقد أشرك بالله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-.[1]

---

[1] هـٰذا التوضيح لهذا الرأس ، لعله أنسب للرأس الطاغوتي الذي بعده.

فكل من عبد وهو راض فهو طاغوت من الطواغيت، ولو سمي وليا، ولو سمي ما سمي.

والثالث (**ومَنْ دعا الناسَ إلى عبادَةِ نفسِهِ**) كشأن فرعون، ﴿**مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي**﴾[القصص:٣٨]، وقال: ﴿**فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى (٢٤)**﴾[النازعات:٢٤]، فالذي يدّعي الكرامات وأنه يملك من دون الله -تعالى- ما لا يقدر عليه إلا هو -سبحانه- فلا شك أنه طاغوت من الطواغيت، ولاشك أنه من أعظم الطواغيت، ومن أشدهم، فمن يدعو الناس إلى عبادة نفسه وأن يتعلقوا به من دون الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- فلا شك أنه من رؤوس الطواغيت الكبار.

والرابع (**ومَنِ ادَّعى شيئًا مِنْ عِلمِ الغيْبِ**) كـ: السحرة، والكهنة، والمنجمين، والذين يضربون في الرمل، والذين يقرؤون الفنجان، الذين يقولون للناس: تعال يا أخي شوف حظك ونصيبك، فيقرؤون له بالفناجين.. ونحو ذلك من الشرك الصراح، فإن ذلك من أعظم أنواع الطواغيت؛ الذين يدّعون علم الغيب الذي استأثر الله بعلمه، فهؤلاء يدعون علم الغيب من رؤوس الطواغيت، وعلى رأسهم الكهنة والسحرة الذين يغتر الناس بهم في هٰذا الزمان.

والخامس منهم (**ومَنْ حكمَ بغيرِ مَا أنزلَ اللهُ**) وهٰذا يحتاج إلى شيء من الوقفة، فإنه قد يصل به الأمر إلى حد الكفر والخروج من الدين والمروق منه، وذلك في أربعة أحوال، وقد يكون فسقًا في أحوال، وقد يكون مأجورا مثابا كيف؟

هناك أربع حالات في الحكم بغير ما أنزل الله كلها مكفرة:

الأولى إذا استحل الحكم بغير ما أنزل الله، وقال: إنه حلال، حتى ولو اعترف بأن حكم الله هو الحق؛ لكن استحل ذلك وفعله وهو مطمئن، فإذا استحل بعد قيام الحجة عليه، وحكم بغير ما أنزل الله في قضية أو قضايا فهو كافر.

الثانية من اعتقد التسوية أن يقول: يجوز أن يحكم بهذا أو بذاك لا فرق، أن يحكم بالقانون الوضعي أو بشرع الله، وهٰذا أيضا يكفر.

الثالثة أن يعتقد التفضيل، تفضيل الحكم بغير ما أنزل الله على الحكم بما أنزل الله، وهٰذا أيضا يكفر.

الرابعة من اعتقد أن حكم الله لم يعد صالحا لهذا العصر، إنما يجب أن نحتكم إلى القوانين الوضعية، بدعوى أن حكم الله قد انتهى وقته وولى وذهب، وهٰذا هو أشد كفرا من غيره، فهٰذا أشد كفرا من غيره.

هؤلاء الأربعة ما حكمهم، يمرقون من الدين، يعتبرون كفارا، المستحل، معتقد التسوية، المفضل، المعتقد أن حكم الله لم يعد صالحا، هؤلاء كلهم كفارا.

يليهم من حكم بالجهل، و لم يكلف نفسه البحث ولا سؤال أهل العلم، فهـٰذا يأثم وعاص وإن كان صادقا؛ يعني يستطيع البحث التحري؛ ولكن لم يكلف نفسه، لكن حكم بالجهل مع قدرته على الوصول إلى الحكم الاجتهادي المعين، فمثل هـٰذا يأثم لا شك؛ كونه ما بحث ولا تحرى ثم تصدى للحكم دون ذلك، هـٰذا لاشك أنه عاص وآثم وفاسق.

ومثله؛ بل أشد منه من اعتقد أن حكم الله هو الحق؛ لكن غلبه هواه، أو غلبته دنياه، وقال: إن حكم الله هو الحق؛ لكن أخشى أن أفصل من وظيفتي، يعني معترفا بحكم الله، ويعتقد أنه الحق؛ ولكن غلبته شهوته وهواه، فحكم في قضية أو قضايا.. فهـٰذا حكمه أنه مسلم فاسق عاص لله ولرسوله.

وأما الذي قد يكون مأجورا، رجل أراد أن يحكم بحكم الله واجتهد في ذلك واستخدم كل الوسائل المتاحة، غير أنه لم يصب حكم الله بعد الاجتهاد، فهـٰذا له أجر ولو أخطأ في المسائل اجتهادية لقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن الرجل إذا اجتهد فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ له أجر واحد**».

هـٰذا هو تفصيل مسألة الحكم بغير ما أنزل الله، وناسب أن يجعله هنا.

وبهذا نكون قد ختمنا هـٰذا الكتيب الأصول الثلاثة، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

۞۞۞۞

[الأسئلة]

سؤال (٠٢): ذكر الشيخ الإمام أن وفاة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لابد من الاعتقاد به، فهناك فرقة تعتقد أن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حي وحاضر وناظر، هل من اعتقد هـٰذا يكون من المسلمين؟

الجواب: إن كان يعرف الآيات ﴿**إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ (٣٠)**﴾[الزمر:٣٠]. والأخرى ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ**﴾[آل عمران:١٤٤] وما جاء من أحاديث في الإشارة إلى وفاته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكابروا بعد معرفتهم إياها فليسوا بمسلمين، وإن كانوا جهالا يعلمون وتقام عليهم الحجة، فإن اعترفوا وإلا فإنهم مكذبون للقرآن.

سؤال (٠٣): ما معنى قول النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**من سن سنة حسنة فله أجرها ومن أجر عمل بها**»، [1] وهل هناك بدعة حسنة؟

الجواب: حتى ندخل في البدعة الحسنة والسيئة وهـٰذا التقسيم المزعوم، لابد أن نرجع إلى أصل الحديث، والحديث رواه الإمام مسلم عن جرير بن عبد الله البجلي -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- سأختصره؛ خلاصته أنه جاء جماعة من الفقراء، فغضب النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لحالهم وحثّ الناس على الصدقة، فتصدقوا، فلما رأى أكوام الطعام واللباس، يقول جرير: فتهلل وجهه كأنه مذهبة؛ أي كأن وجهه طلي بالذهب، ثم قال: «**من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، ومن سن في الإسلام سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من علم بها إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من أوزارهم شيئا**» وبالرجوع إلى هـٰذا الحديث يتضح لنا معنى المقصود به، وهـٰؤلاء الذين استدلوا به فسروا «**من سنّ**» أي بمن ابتدع، وهـٰذا أول أمر يرد هـٰذا التفسير، كيف الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول: «**من سن**»، وهؤلاء يبتدعون في الدين يقولون: هـٰذه بدعة حسنة. الرسول -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- يقول: «**من سن في الإسلام سنة حسنة**».

ثانيا سبب ورود هـٰذا الحديث يبين المراد منه، فإن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حث على الصدقة، وتسابق الناس إليها، وساهموا كلٌّ بما استطاع، وهـٰذه، فأول واحد منهم جاء بصرة عجز عن حملها هو المعني بقوله: «**من سن في الإسلام سنة حسنة**» فهـٰذا الذي جاء بالصرة هل يقال: إن معنى «**سن**» أنه أتى بشيء جديد، أم فعل أمرا أمره به النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وحث عليه، ما الجواب؟ الثانية وهو أنه نفّذ أمرا أمره به النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وحث عليه.

ثالثا أن معنى «**من سن**» عند أهل العلم من أهل السنة والجماعة أي: من أحيى سنة وبخاصة عندما يميتها الناس. فأنت إذا جئت إلى أناس لا يعرفون مثلا سنة القصر في الصلاة للمسافر، وهـٰذا مر بنا في بلد عربي إسلامي أنهم أنكروا علينا سنة القصر وقالوا: لم نسمع بهذا من قبل اليوم، وأول من اعترض علينا إمام المسجد في بلد من البلاد العربية المسلمة، فأنت لو جئت وعلمتهم أن الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كان يقصر في السفر وطبق الناس بعدك فأنت ينطبق عليك هـٰذا الحديث «**من سن في الإسلام سنة حسنة**»؛ أي من أحيى سنة من سنن المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

([1]) **مسلم**: كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة، حديث رقم (١٠١٧).

مثلا لو جئت لأناس يجعلون في أصابعهم ما يسمى بالدبلة اليهودية التي تجعل في البنصر الذي بجوار الخنصر من الرجال، وهي في الأصل لها أساس يهودي ويعتقدون فيها معتقدات فاسدة، كثير من المسلمين قلدوهم؛ إذا تزوج لبس خاتما في البنصر ، فلو علمتهم قلت: البس خاتما في خنصر اليمنى أو اليسرى كما فعل النبي، لو لبست خاتما من فضة هٰذا سنة.

فالمسلمون يقعون في خطأين:

أحدهما لبس هٰذه الدبلة اليهودية.

وثانيهما التختم بالذهب أو ما شابه الذهب كالبلاتين وما إلى ذلك.

فهٰذا حرام لا يجوز؛ الذهب حرام على الرجال، فمن كان لابسا خاتما من ذهب فليخلعه الآن وليتب إلى الله، من الرجال، ومن كان في رقبته سلسلة يقلد بها النساء والكفار فليزلها هٰذه الليلة، ومن لبس دبلة يهودية في خنصره قد يستغرب بعض الناس عندما أقول: إنها يهودية، أصلا هي عادة يهودية يعني من عقود الأنكحة عند اليهود، ولها أصل عقدي عندهم حتى بعضهم يسميها الخاتم السليماني.

فابتعد عن هٰذا يا عبد الله، فمن تشبه بقوم فهو منهم، فإذا علمت الناس أن يتخلصوا من هٰذا الحرام، وأن يتختموا في اليسار أو في اليمين فأنت مأجور إن شاء الله، وأنت ممن سن في إسلام سنة حسنة.

أما تسمية البدعة بدعة حسنة، هٰذا من أغرب الغرائب، فإن الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «**كل بدعة ضلالة**»[1] ولم يقل: إلا البدعة الحسنة. ولم يستثن أي بدعة على وجه الأرض البتة، و(كل) من ألفاظ العموم، كيف يقول الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كل بدعة ضلالة**» ويأتينا واحد في القرن السابع أو الثامن، ويقول: البدعة بدعتان: بدعة حسنة وبدعة سيئة؛ بل نقول لهم: جميع البدع سيئة وقبيحة ومن أين نعلم أن هٰذا العمل حسن أو قبيح؟ بالرجوع إلى الشرع فإن كان حسنه الشرع فهو سنة حسنة وليس بدعة حسنة؛ يعني إن كان عليه دليل في كتاب الله تعالى أو سنة رسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فهو سنة حسنة، ولا نسميه بدعة حسنة، وإن كان غير ذلك فهو بدعة، ما خرج عن ذلك هو بدعة، ولذلك يقول الإمام مالك كما سمعنا في الدرس الماضي: من ابتدع بدعة يرى أنها حسنة فقد زعم أن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قد خان الرسالة.

([1]) **مسلم**: كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، حديث رقم (٨٦٧).

ويقول الإمام الشافعي: من استحسن فقد شرّع. يعني افترى وشرّع من عنـــد نفســـه، والله – تعالى- يقول: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاء شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ﴾[الشورى:٢١].

فاعتبروا يا أولي الأبصار من تسمية الأسماء بغير اسمها، ونحن في زمان سميت السنن فيـــه بـــدعا وسميت البدع فيه سننا.

أنا كنت في بلد ما من بلاد المسلمين فيسمون الذي يقبض يديه في الصلاة مبتدعا، ويسمون من يطلق يديه مسبلا سنيا، سبحان الله؛ يعني أمر معكوس تماما، عُكس الأمر تماما، يسمّون الذي يسبح بيديه مبتدعا، ويسمون الذي يلعب بهـــٰذا الخرز، أنا لا أسميه تسبيحا، أسميه لعبا، خرزا هـــو فقـــط يُذهب عنه النعاس، أبدا ليس تسبيحا؛ لأنه بدعة، لو تركت السبحة يسمون ذلك بدعة، جئنـــا إلى مسجد من مساجد المسلمين في بلد ما فوزعوا علينا سبحا أول ما دخلنا على المسجد بالقوة، وكنـــا حاسري الرؤوس دخلنا حاسري الرؤوس فوزعوا علينا سبحا وجعلوا علينا طواقي، بدعوى أنـــه لا تجوز الصلاة وأنت حاسر الرأس، سبحان الله العظيم، عكست السنن الآن.

ولذلك جاء في الأثر أنه يأتي في آخر الزمان إذا فُعلت سنة قالوا: فعلت بدعة، وإذا تركت البدعة قيل: تركت السنة، فاعرفوا الأشياء وسموها بمسمياتها أيها الإخوة، لذلك هـــٰذه التسمية –تســـمية بدعة حسنة وبدعة سيئة– من أعظم المفتريات التي وجدت في التاريخ الإسلامي.

۞۞۞۞

المحتويات

الدرس الأول ٢
يجب تعلم أربع مسائل ٢
المسألة الأولى: العلم ٣
معرفة العبد ربه ٣
معرفة العبد نبيه ٥
معرفة العبد دينه ٥
المسألة الثانية: العمل ٦
المسألة الثالثة: الدعوة ٧
المسألة الرابعة: الصبر ٨
[الأسئلة] ٩
سؤال (٠١): كتيب عند بعض الحجاج منتشر، وفيه بعض الأوراد كما يزعمون، منها قوله: اللهم صل محمد على وآل سيدنا ومولانا محمد كما تحب وترضى، الله رب محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نحن عباد محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ ٩
الدرس الثاني ١١
يجب تعلم ثلاث مسائل والعمل بهن ١١
المسألة الأولى: أن الله خلقنا ورزقنا ولم يتركنا هملا ١١
المسألة الثانية: أن الله لا يرضى أنه يشرك معه أحد في عبادته ١٤
المسألة الثالثة: لا يجوز موالاة من حاد الله ورسوله ١٦
الدرس الثالث ٢١
الحنيفية ملة إبراهيم ٢١
الأصل الأول: معرفة العبد ربه. ٢٢
أنواع العبادة التي أمر بها الله سبحانه وتعالى ٢٧
الدرس الرابع ٣٠
أنواع العبادة التي أمر بها الله –تتمة – ٣٠
عبادة الخوف ٣٤
عبادة الرجاء ٣٥
عبادة التوكل ٣٦

عبادتي الرغبة والرعبة ٣٦
عبادة الخشية ٣٧
عبادة الاستعانة ٣٨
عبادة الاستغاثة ٣٩
عبادة الذبح ٣٩
الدرس الخامس ٤١
الأصل الثاني: معرفة دين الإسلام بالأدلة ٤١
مرتبة الإسلام ٤٢
المرتبة الثانية الإيمان ٤٦
المرتبة الثالثة: الإحسان ٤٨
الدرس السادس ٥١
الأصل الثالث: معرفة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام ٥١
الهجرة ٥٤
الدرس السابع ٦١
الإيمان بأن نوح أول الرسل ومحمد خاتمهم والكفر بالطاغوت ٦١
الكفر بالطاغوت ورؤوسه الخمسة ٦٣
سؤال (٠٢): ذكر الشيخ الإمام أن وفاة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لابد من الاعتقاد به، فهناك فرقة تعتقد أن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حي وحاضر وناظر، هل من اعتقد هـٰذا يكون من المسلمين؟ ٦٨
سؤال (٠٣): ما معنى قول النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((**من سن سنة حسنة فله أجرها ومن أجر عمل بها**))، وهل هناك بدعة حسنة؟ ٦٨